يطبع لأول مرة

تحرير البيان

في تقرير شعب الإيمان ورتب الإحسان

تأليف

محيي الدين ابن عربي

٥٦٠ - ٦٣٨هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر

مكتبة دار الدقاق



تحرير البيان

في تقرير شعب الإيمان ورتب الإحسان

تأليف

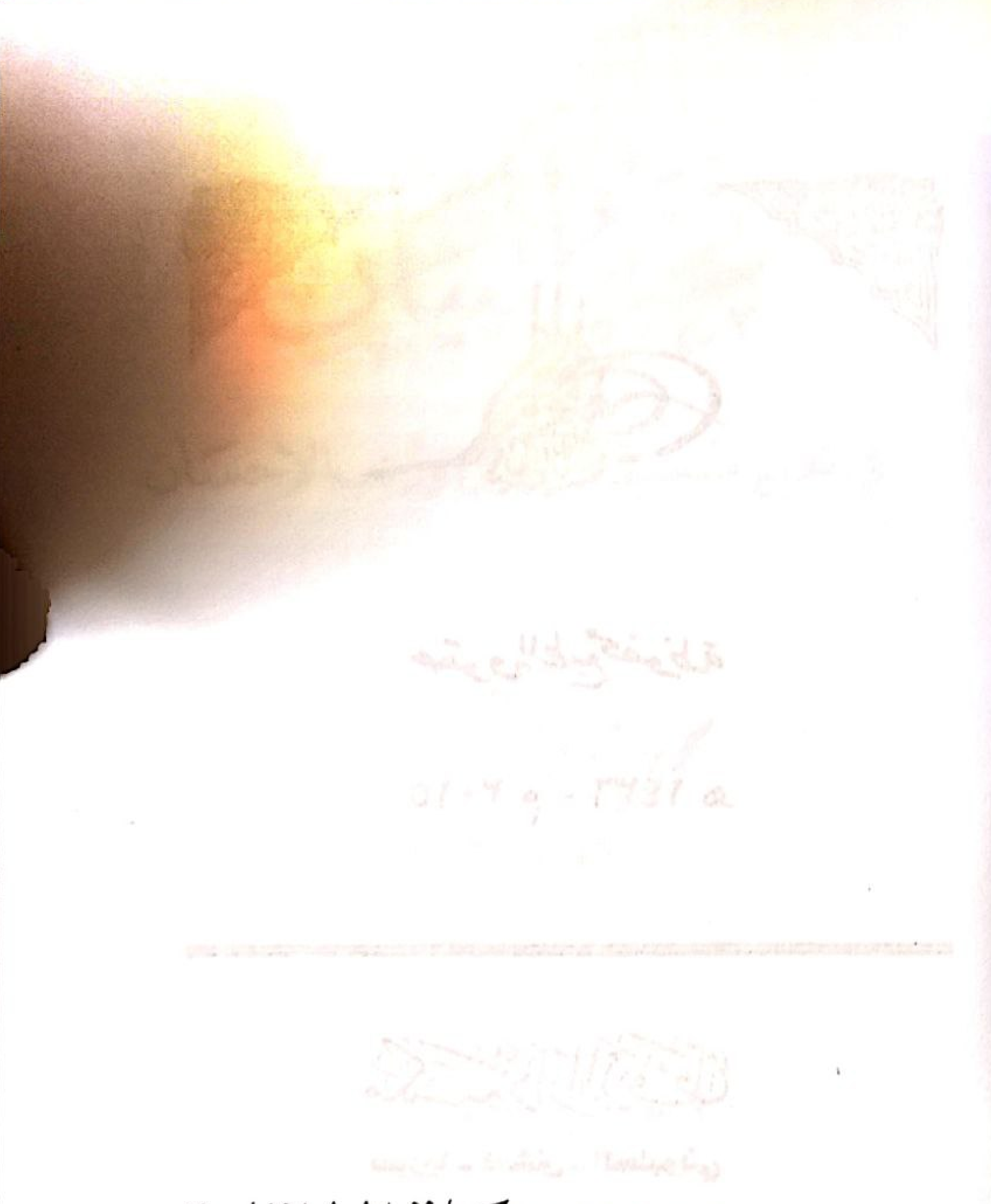
محيي الدين ابن عربي

٥٦٠ - ٦٣٨هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر

مكتبة دار الدقاق



تحرير البيان



٢٠١٥ م - ١٤٣٦ هـ

مكتبة دار الدقاق

سوريا ـ دمشق ـ الحلبوني

00963 932509370

00963 11 2246031

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وأفضل الصلاة وأتم التسليم

على محمد الصادق الأمين قائد الغر المحجلين

وعلى آله وصحبه ومن

تبعهم بإحسان إلى

يوم الدين

الحمد لله العدل المنان، الذي خلق الإنسان، وعلمه أحوال الإحسان، وبين له مراتب الأعمال، وفصَّل له دركات الإساءة - والعياذ بالله - ودرجات القربان، وما كان هذا التفصيل وذلك البيان إلا تذكيرًا بقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

التفصيل والتبيان من ملك لا يظلم لديه الإنسان، بله الحيوان، فكلّما دقَّ الميزان، وارتفعت درجة التفاضل والتفاصل كان أدعى للعدل المطلق، وإعطاء كل ذي حق حقه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠] و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وهذا ما أشار إليه نبيُّه محمد بنُ عبد الله ﷺ سيدُ الأنس والجان، في حديثه عن مراتب الإحسان.

* * *

محيي الدين ابن عربي[1]

حياته: نستطيع أن نتلمس أربع مراحل في حياة ابن عربي. وكل مرحلة تنقسم إلى مواقف:

المرحلة الأولى: ٥٦٠ ـ ٥٨٠ هـ:

ولد أبو بكر محمد بن علي ابن عربي الطائي في ١٧ رمضان سنة ٥٦٠هـ في مدينة مُرْسِيَة من أسرة غنية وافرة التقوى، فخالاه سلكا طريق الزهد، ووصلا فيه، وهما:

١ـ يحيى بن يغان: الذي تخلّى عن عرش تلمسان، ولزم خدمة أبي عبد الله التونسي عابدِ وقته.

٢ـ أبو مسلم الخولاني: شديد العبادة، أخذ نفسه بالرياضة

---

(١) كنت قد كتبت في مقدمة كتاب «الدرة الفاخرة فيمن انتفعتُ به في طريق الآخرة» ـ الصادر عن دار الفتح للدراسات والنشر في عمّان سنة ٢٠٠٦ ـ عن حياة الشيخ محيي الدين فصلاً، وعن الشيخ وعلماء عصره فصلاً آخر، أجدني أسوقه هنا بحروفه.

والسهر، وجاهدها مجاهدة من أيقن بالسفر، فكان يقضي ليله بالطاعة والقربى، وإن ضعفت نفسه جلدها بالسياط حتى تبقى متيقظة ذاكرة.

أما عمُّه عبد الله بن عربي فكان ذا مواهب لدنيّة. حافظًا لكتاب الله، قائمًا قانتًا.

انتقل مع أهله إلى إِشْبِيْلِيَةَ سنة ٥٦٨هـ ونال التربية الأدبية والدينية الكاملة، وتتلمذ على يد مشايخَ كُثُرٍ أهمُّهم أبو محمد عبد الحقِّ الإشبيلي تلميذ ابن حزم، وقد قرأ كتب ابن حزم جميعها على عبد الحقِّ، وإلى هذا يرجع كون ابن عربي ظاهريَّ المذهب في العبادات.

كان لا يزال غلامًا أمرد لمَّا رغب ابن رشد مشاهدة ابن عربي كي يتعرف إلى هذا السالك المتفرّد، الذي ذاع صيته، فحصل له مراده، والتقاه بقرطبة.

نال ابن عربي وظيفةَ كاتبٍ في حكومة إِشْبيليَةَ، وتزوَّج من مريم بنت محمد بن عبدون البجائي.

مرض ابن عربي مرضًا كاد يُودي به، حتى عُدَّ من الموتى، لكن الله منّ عليه، فنجّاه من مرضه بفضل أمٍّ تقية صالحة، وأبٍ

صدّيق ساهرٍ عند رأسه يقرأ سورة ﴿يسٓ﴾.

فكان مرضه، وزوجته الصالحة، ووفاة أبيه السببَ في دفعه إلى الله بكلِّيته، حتى نال مقامًا صوفيًا متميزًا.

* * *

المرحلة الثانية: ٥٨٠ ـ ٥٩٨ هـ:

تجوَّل في مدن الأندلس، وقُصد للإفادة من علمه مع أنه لم يتجاوز الحادية والعشرين سنة. وكان للقدوة الصالحة من الزهاد الأثر البالغ في تكوين روح ابن عربي صافية نقية، وعلى رأس هؤلاء الزهاد عبد الله المغاوري. وكذلك لقي من مشايخ الطريق: موسى بن عمران الميرتلي، وأبا الحجاج يوسف الشبربلي الذي تعلَّم منه الاتصال بأرواح الموتى، ويوسف بن خلف الكومي.

وكان لصلته مع أبي العباس العريبِي ـ الذي كانت تعاليمه تقوم في جوهرها على نكران الإرادة طاعةً لله، وقطعِ كل العلائق إلاّ مع الله ـ الأثر الأبلغ في تكوين فكره، واتصاله مع الله، وسمو روحه.

ولا يمكن أن نغضَّ الطرف ـ في هذه المرحلة من البناء

النفسي والسلوكي - عن بنائه الذاتي، فقد حُبِّبتْ إليه الخلوة، فأصبح جليس المقابر والفلوات معتبرًا مفكّرًا. وتم بناؤه الصوفي بفضل مشايخه في إِشْبِيلِيَةَ، كلُّ شيخ يزوِّده بفوائده وخواصّه، وقد اكتمل على يد أبي يحيى الصنهاجي الضرير الذي علَّمَهُ أن يتقبَّلَ بالصبر الظلمَ والتعسُّف والاضطهاد.

وخلال هذه المدة التقى مع الخضر للمرة الأولى.

وهكذا اكتمل بناءُ ابن عربي الفكري، وأصبحت الحياةُ المفضلة لديه سياحاتِه المستمرةَ القلقلة التي قضاها ما بين مدن المغرب وحواضر الأندلس متعلِّمًا ومعلِّمًا.

ذهب إلى مورور لعند عبد الله الموروري قطبِ التوكُّلِ في زمانه. وبدعوة من أستاذه هذا ألَّف أول كتبه وهو «التدبيرات الإلهية».

سنة ٥٨٦هـ: التقى في مَرْشَانة الزيتون خطيبَ مسجدها عبد المجيد بن سلمة العالم بالتجليات الصوفية.

ومرَّ بمدينة قرطبة، ووقف طويلاً على أطلالها يُشاهدُ مشاهد عجيبةً جمعتْ أقطاب الأمم المتقدّمين جميعهم.

سنة ٥٩٠هـ: وصل إلى إفريقية، والتقى الشيخَ الإشبيلي

الكبير أبا مدين الذي أقام مدرسةً للتصوف في بِجَايَة.

أثناء مقامه بتونس تجلّى له الخضر مرةً ثانية.

عاد إلى الأندلس، والتقى في جزيرة طريف أبا عبد الله القلفاط.

سنة ٥٩١هـ: عاد إلى فاس، والتقى مشايخها، وكان أحدُهم صوفيًا متضلِّعًا في علم حساب الجُمَّل. فصاحَبَه ابن عربي، وإليه يرجعُ الفضل في تمكّن ابن عربي في هذا الفن الذي يبدو ولعه فيه في كلِّ كتبه.

سنة٥٩٢هـ: عاد إلى إشبيلية، ولقي الحفاوة والتبجيل والاحترام من أهلها.

سنة ٥٩٣هـ: عاد إلى مدينة فاس، وعكف على الدراسة والمجاهدة في المسجد الأزهر وبستان ابن حَيْوَن، ونال مقام التجلّي.

سنة ٥٩٥هـ: مرَّ ابن عربي بغرناطة، وزار شيخه عبد الله الشكاز، ثم زار مُرْسِية والمَرِيَّة، وانقطع في الأخيرة إلى الصلاة والرياضة الروحية في عزلةٍ، وألّف كتاب «مواقع

النجوم» في أحد عشر يومًا وهو رسالة في الزهد والتصوف، عرض فيه تحت ستار الرموز الفلكية الأنوارَ التي يمنحها اللهُ الصوفيَّ في مراحل طريقه.

قال ابن عربي عن كتابه هذا: فليُعتمد؛ فإنه عظيم المنفعة، وما حملني على أني أعرّف بمنزلته إلاّ أني رأيتُ الحقَّ في النوم مرّتين وهو يقول لي: انصح عبادي..

سنة ٥٩٧هـ: دخل عاصمة الموحّدين مَرَّاكش بصحبة أبي العباس السبتي، وفيها رأى رؤيا في حالة التجلّي حملته على القيام برحلةٍ إلى المشرق، فرحل إلى مدينة فاس، والتقى محمد الحصار، وسارا معًا باتجاه تلمسان.

وفي رمضان ٥٩٧هـ: دخل بِجَايَة، وذات ليلة من ليالي رمضان عَقَد قرانَهُ في المنام على جميع نجوم السماء، وجميعِ حروف الهجاء، وعبَّر شيخٌ الرؤيا له بأنه سيكون من الصوفيَّة ذا مواهب عجيبة في علم النجوم وأحكامها، وفي العلوم اللدنية.

* * *

المرحلة الثالثة: ٥٩٨ ـ ٦٢٠ هـ:

سنة ٥٩٨هـ: استقر في تونس، وفيها وصل إلى درجةٍ عاليةٍ من درجات السلوك.

كان يصلي مرةً خلف الإمام، فشاهد شعاعًا من السماء، فصاح صيحة غُشي من هولها على كلّ المُصلّين.

استضافه عبد العزيز أبو محمد مدة تسعة أشهر، وقد دعاه إلى تأليفِ واحدٍ من أهم كتبه وهو: «إنشاء الدوائر والجداول» شرح فيه ابن عربي بالأشكال الهندسية مذهبه في الكون، وهو مذهبٌ معقَّدٌ غريب.

ومرَّ بمصر وبها تُوفّي صديقُه محمد الحصار.

بلغ مكة، وبها ذاع صيته، وتوافد الصالحون والعلماء عليه، ومن بينهم الإمام الموكَّل بمقام إبراهيم عليه السلام واسمه أبو شجاع، وانعقدت بين الرجلين مودةٌ وثيقة، وكان لهذا الإمام بنتٌ ذات جمال رائع، وعلم لدني فائق اسمها نظام، ولقبها عين الشمس والبهاء، فأوحت إليه بموضوع كتابٍ من أشهر كتبه وهو: «ترجمان الأشواق» وهو قصائد

غزلية موجَّهة إليها في الظاهر؛ ولكنها في باطنها ومعناها إلهية.

ومنذ هذا التاريخ ونشاطه في الكتابة غزير بفضل الهدوء الذي عاشه، وسموِّ روحه في هذا البلد الأمين.

سنة ٥٩٩هـ: كتب «مشكاة الأنوار فيما رُوي عن النبي ﷺ من الأخبار».

وفي الطائف كتب «حلية الأبدال».

وكان الطواف ينشئ في روحه تجلّيات لا حصر لها.

سنة ٦٠٠هـ: تنبأ ابن عربي بوقوع مصائبَ عظيمةٍ، لمّا شاهد النجوم تتساقط تساقطًا عجيبًا، ووقعت فعلاً مصيبةٌ في اليمن، فقد هبَّتْ عليها ريحٌ تحمل غبارًا مثل الزنك غطَّى الأرض حتى الركب، وعاشتِ اليمن في ظلمةٍ، وانتشر طاعونٌ فتّاك بين أهل مكة.

سنة ٦٠١هـ: سافر إلى الموصل مارًّا ببغداد، رغبةً منه بلقاء علي بن عبد الله بن جامع، الذي التقى بالخضر عليه السلام، وألبسه الخرقة، وألبس ابنُ جامع ابنَ عربي الخرقة

بالموضع الذي ألبسه فيه الخضرُ من بستانه، وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إياها، ومن ذلك الوقت قال ابن عربي بإلباس الخرقة، وألبسها الناسَ لما رأى الخضر قد اعتبرها، فالخرقة رمز الصحبة والأدب والتخلق.

سنة ٦٠٣هـ: ارتحل ابن عربي إلى مصر، وعاش مع أصحابه في زقاق القناديل، وقضى معهم - أبي العباس الحريري وأخيه محمد الخياط - الليالي في العبادات والمجاهدات، وإتيان الكرامات، والحديث عن الذات الإلهية، وتبادل الآراء التي بلغت مسامع الفقهاء، فاتَّهموا ابن عربي بالبدعة، وطالبوا بسجنه، بل منهم من طلبَ رأسَه، لكنَّ توصية الشيخ أبي الحسن البجائي، وتفسيره لمذهب ابن عربي في وحدة الوجود تفسيرًا رمزيًا، جعل الملك العادل يأمر بإطلاق سراحه، فزاد ذلك حماسَ ابن عربي للانتصار لمذهبه.

سنة ٦٠٤هـ: رحل قاصدًا الإسكندرية، ومنها توجَّه إلى مكة، وزار صديقه أبا شجاع.

سنة ٦٠٥هـ: واصل أسفاره في آسية الصغرى.

سنة ٦٠٧هـ: وصل إلى قُونية، وكان يحكمها كيكاوس

الذي خرج لاستقبال ابن عربي بالإكبار والحفاوة، وأعطاه دارًا عظيمة؛ لكن ابن عربي أعطى هذه الدار لسائلٍ صدقةً.

وفي هذه المدة استأنف التأليف، فألّفَ كتابين هما: «مشاهد الأسرار» و«رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار».

وكان يجتمع بأصحاب الطريق، ومن أشهر تلامذته في قُونية صدرُ الدين القُونوي.

وكانت تظهر لابن عربي تجلّيات سماوية للأرواح النبوية على هيئةٍ جسمية، أو تتّحد بروح ابن عربي في مشاهدَ وجدانية خارقة.

ثم استأنف سياحته فزار قيصرية، وبعدها مَلَطْيةَ، وسِيواس، وأَرْزَن ثم حرّان في العراق ودُنَيْسَر بدياربكر وأرمينية.

سنة ٦٠٨هـ: دخل بغداد رغبةً منه في أن يجتمع مع الصوفي الشهير شهاب الدين عمر السُّهْرَوردي، والتقاه وقتًا طويلاً، والصمت مخيّمٌ عليهما، وانفصلا دون أن ينطقا بحرف.

سنة ٦٠٩هـ: توطّدت علاقتُهُ مع الأمراء والملوك، وخاصة

كيكاوس، الذي وجَّه إليه ابنُ عربي رسائل في السياسة الشرعية، يحذِّرُهُ فيها من الجَوْر، ويبيّنُ له العدل، وكيف يعامل أبناء مملكته من المسلمين والنَّصارى كما أمر الله، وكما مضت عليه سنة رسوله وخلفائه (عمر بن الخطاب رضي الله عنه).

سنة ٦١١هـ: انتقل إلى مكة، وعكف على عباداته، وكتب شرحًا لكتابه «تُرجمان الأشواق» ليُسكت صوتَ فقهاء حلب الذين هاجموا ما في الديوان من لهجة حسية شهوانية، دون أن يُدركوا معانيها الروحية، وأسرارها الإلهية.

سنة ٦١٢هـ: ارتحل إلى سِيواس في بلاد الأناضول، وبشَّرَ كيكاوس الذي كان يُحاصرُ أنطاكية أنَّ النصرَ سيكون حليف جند الإسلام، وكان كما أخبر ابن عربي.

سنة ٦١٣هـ: تسابق السلاطين إلى نيل رضاه، وتمنِّي مناه؛ فالملك الظاهر صاحبُ حلب، كان يزور ابنَ عربي في بيته، والتجأ إليه أهلُ حلب لقضاء حوائجهم. ومرة رفع ابن عربي إلى الملك الظاهر غازي في مجلسٍ واحد مئةً وثماني عشرة حاجة، قضاها كلها. وبلغ نفوذه حدًّا جاوز أهلَ البلاط

من الأمراء والفقهاء. وأجرى عليه سلطان حمص أسدُ الدين شيركوه كلَّ يومٍ مئة فضة؛ لكن ابن عربي تصدَّق بهذا كلِّه.

* * *

المرحلة الرابعة: ٦٢٠ ـ ٦٣٨ هـ: السنوات الأخيرة:

إنَّ الزهد الشديد الذي مارسه، والسياحات الطويلة المتواصلة التي عاناها، مع اختلاف الأنواء، خاصة برد أرمينية، إضافة إلى عمله المتواصل في التأليف الذي أربى على أربع مئة كتاب، والظواهر الخارقة والتجليات المتعددة التي عاناها، كلُّ هذا ساعد على تدهورِ صحة ابن عربي، فحمله هذا على اختيار دمشق مقامًا له، لاعتدال جوِّها، ولما ورد من الأحاديث في فضلها، ولرغبة سُلطان دمشق ـ الملك المعظَّم ابن الملك العادل الذي كانت صلته بابن عربي صلةَ المُريد بشيخه، وقد أجازه ابن عربي بجميع كتبه ـ في أن يكون إلى جواره. ومن المحقَّق أنه استقر بدمشق سنة ٦٢٠هـ وهو في سن الستين من عمره، ولم يغادرها حتى توفي فيها.

وفي هذه المرحلة اشتدَّتِ الواردات الإشراقية عليه، وظهر أثرُ ذلك على كتبه التي تأخر في تأليفها وهي:

«الفتوحات المكية»، و«الفصوص»، والديوان.

سنة ٦٢٧هـ: ظهر لابن عربي النبيُّ ﷺ، وسلّمه كتابًا عنوانه «فصوص الحكم» وأمره بإذاعته ونشره بين الناس؛ لما فيه من كمال صوفي.

سنة ٦٣١هـ: وبها انتهى من صناعة ديوانه الذي تشيع فيه لهجةٌ من الوجد الصوفي، إلاّ أنه يفتقرُ لما في «ترجمان الأشواق» من واقعيةٍ وشخصية، إضافةً إلى سيطرة الصنعة على تركيبه.

الفتوحات المكية: عندما وصل إلى مكة أوّلَ مرة فتح اللهُ عليه إلهامات عند طوافه ببيت الله العتيق، فأراد أن يُعرّف صديقَيْه أبا محمد عبد العزيز التونسي، وعبد الله بدر الحبشي بما حباه الله به. فألّفَ كتابه «الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والمُلْكية» وقد وضعه ابن عربي على مراحل؛ لكنَّ تحريره النهائي كان في دمشق قريب سنة ٦٣٦هـ. ويُعدّ الكتاب خلاصةً شاملة لكلِّ كتب ابن عربي.

(*) عاش ابن عربي سنواته الأخيرة في سعة من العيش، وهدوءٍ نفسي، وتبجيل وتكريم، خاصة من الملك الأشرف ابن

الملك العادل الذي دأب على حضور دروسه، وتلقى الإجازة من يده لرواية جميع كتبه سنة ٦٣٢هـ حتى إن قاضي القضاة الشافعية كان يخدمه خدمة العبيد، وقاضي قضاة المالكية التمس الشرف بتزويجه ابنته، وقام القاضي ابن الزكي بتوفير معاشه (ثلاثين درهمًا كل يوم) وآواه في منزله.

توفي ابن عربي في منزل ابن الزكي، ودفن في الصالحية في تربة ابن الزكي أيضًا مخلِّفًا ولدَين وبنتًا:

سعد الدين محمد: ولد بمَلَطْيَةَ من بلاد الروم، متاخمة للشام سنة ٦١٨هـ وكان شاعرًا صوفيًّا، توفي بدمشق ٦٥٦هـ ودفن بجوار أبيه.

عماد الدين أبو عبد الله محمد: توفي سنة ٦٦٧هـ ودفن بجوار أبيه أيضًا.

زينب: كانت ملهمةً منذ طفولتها.

* * *

وقد أمر السُّلطان سليم سنة ٩٨٦هـ ببناء مسجدٍ باسمه، ومدرسةٍ كبيرة على ضريحه، ورتَّبَ الأوقاف عليهما.

* * *

ابن عربي وعلماء الأمة:

انقسم العلماء في أمر ابن عربي إلى فئتين متعارضتين؛ فئة تراه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، وفئة تراه رأس الزندقة ومَمَّنْ سوَّلَ له الشيطان وأملى له.

وللشيخ أنصارٌ يدافعون عنه بكلِّ ما أوتوا من قوة، وله أيضًا أعداء يشنِّعون عليه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، تشهد على ذلك الوثائق المميزة التي أودعها الشيخُ المؤرِّخ القدوة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السَّخاوي المتوفَّى سنة ٩٠٢هـ كتابَهُ «القول المنبي في ترجمة ابن عربي» والتي جمعتْ طائفةً من الآراء والفتاوى التي أصدرها العلماء والفقهاء إنصافًا للشيخ أو اتهامًا له، وتضم أكثر من ثلاث مئة فتوى على مدى ثلاثة قرون، من سنة ٦٢٠ تقريبًا حتى سنة ٨٩٥هـ.

إن إشكال العبارة، وغموض المعنى، وغياب المقصد عن أذهان العلماء أوقع القومَ بما وقعوا فيه، ولا أدلَّ على هذا من أن كتابه «فصوص الحكم» له أكثر من مئة وخمسين شرحًا، منها ما اتفقت مع ما ذهب إليه الشيخ، ومنها ما اختلفت معه

فيه، وأحد هذه الشروح لابن عربي نفسه أسماه: «مفتاح الفصوص».

ومن ذلك قوله:

يا مَنْ يَراني ولا أَراه كمْ ذا أَراه ولا يَراني

فلما رأى سوءَ فهم مُراده، والبعدَ عن مقصده قال:

يا مَنْ يَراني مُجرمًا ولا أراه آخـــــــذا
كـــمْ ذا أَراه مُنعمًـــا ولا يَـــرانـــي لائـــذا

وكذلك ديوانه «ترجمان الأشواق» فإنه لمّا انصرفتْ أذهان الفقهاء والمعترضين إلى صوره ومعانيه الحسية، صنع له ابن عربي نفسُه شرحًا أسماه: «كتاب الذخائر والأعلاق في شرح ترجمان الأشواق» بيّن فيه المعنى السامي الباطني الكامن وراء هذه الصور الحسية الظاهرة.

إن شدّة الوارد، وفيض الفتوح، وإشراقَ النفس، إضافة إلى امتلاك ناصية اللغة، والتصرف في مفرداتها وتراكيبها وصورها جعل من بعض مؤلفات ابن عربي مشكلةً مستحكمة حار الناس في فتح مغاليقها. ولا شك في أنك لن تستطيع أن

تفهمَ ابنَ عربي إلاّ إذا كنت ابن عربي. أساطين ثقةٌ جرّحوه، وأساطين ثقة عدّلوه، وإلى الله ترجع الأمور[1].

* * *

مؤلفات ابن عربي:

شرع الشيخ محيي الدين منذ صغره على تسجيل أفكاره، وتقييد آرائه يحدوه في ذلك حدَّةُ ذاكرةٍ، واطلاعٌ واسع، وملكةٌ مقتدرة، فهو العارفُ العالم في الحديث، والتفسير، والقراءات والفقه، وعلوم الآلة، والتاريخ، والتصوف، فأتت مصنفاته في غالب العلوم والفنون. وهي كثيرة تخرج عن الإحصاء والحصر.

نشر الأستاذ كوركيس عوّاد رسالة للشيخ ذكر فيها ٢٤٨ مصنفًا.

وقد أُفردت كتبٌ كثيرة لمؤلفات الشيخ، منها:

---

(١) اعتمدت في كتابة هذه المقدمة على الكتب التي تفردت في ترجمة ابن عربي وهي: ابن عربي حياته ومذهبه تأليف آسين بلاثيوس، وكتاب ابن عربي وروح القدس تأليف حامد طاهر، وكتاب مؤلفات ابن عربي تأليف عثمان يحيى.

ـ كتاب الأستاذ عثمان يحيى «مؤلفات ابن عربي تاريخها تصنيفها».

ـ كتاب الأستاذ محمد رياض المالح: «الشيخ الأكبر» وقد أحصى الأخير أسماء مؤلفاته ونبذة عنها، وعن أماكن وجودها، وصل بها إلى الرقم (١٤١٠).

ولا يمكن لإنسان أن يمرَّ على ذكر مؤلفات ابن عربي دون التنويه بأهمها وأعمها:

١ـ الفتوحات المكية.

٢ـ ديوان الأشواق.

٣ـ فصوص الحكم.

٤ـ مواقع النجوم.

٥ـ عَنْقاء مُغْرب.

تحرير البيان في تقرير شعب الإيمان ورتب الإحسان:

رسالة من رسائل الشيخ المهمة بناها على حديث المصطفى ﷺ «الإيمان بضع...»[١].

---

(١) انظر الحديث بتمامه مع تخريجه صفحة (٣٥).

وقد اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسختين خطيتين:

١ـ الأولى: استللتها من مخطوطة كتاب «شرح مواقع النجوم» للشيخ عبد الله صلاح الدين العشاقي الرومي ت ١١٩٧هـ وهي بخط مؤلفها، ساقها بتمامها في كتابه «الشرح» وتقع في (١٤) صفحة. في كلِّ صفحة (٣٥) سطرًا[١].

وهي قليلة الضبط، قليلة التصحيف والتحريف.

وهذه المخطوطة نسخة خزائنية زودني بها الأستاذ محمود إيرول قليج من أحفاد المؤلف رحمه الله. وقد رمزت إليها بحرف (أ).

٢ـ الثانية نسخة المكتبة الظاهرية رقمها (٦٤٨٧) وتقع في (٣٦) صفحة، في كلٍّ صفحة (١٩) سطرًا، والنسخة عديمة الضبط، قليلة التصحيف، ناسخها محمد بن عربي المغربي الجزائرلي، لم يذكر سنة نسخها. وقد رمزت إليها بحرف (ب).

---

(١) لما كانت الرسالة جزءًا من كتاب لم أضع مصور الصفحة كاملة، بل بحسب ورودها.

عملي في التحقيق:

ما اتبعت في تحقيق هذه الرسالة إلا ما يقتضيه المنهج العلمي في تحقيق أي نص، من نسخ ومقابلة، وترقيم وتفصيل، وتخريج للآيات والأحاديث، وتعريف بالرجال.

لقد حاولت أن أقفو أثر الأساتذة المعلمين.

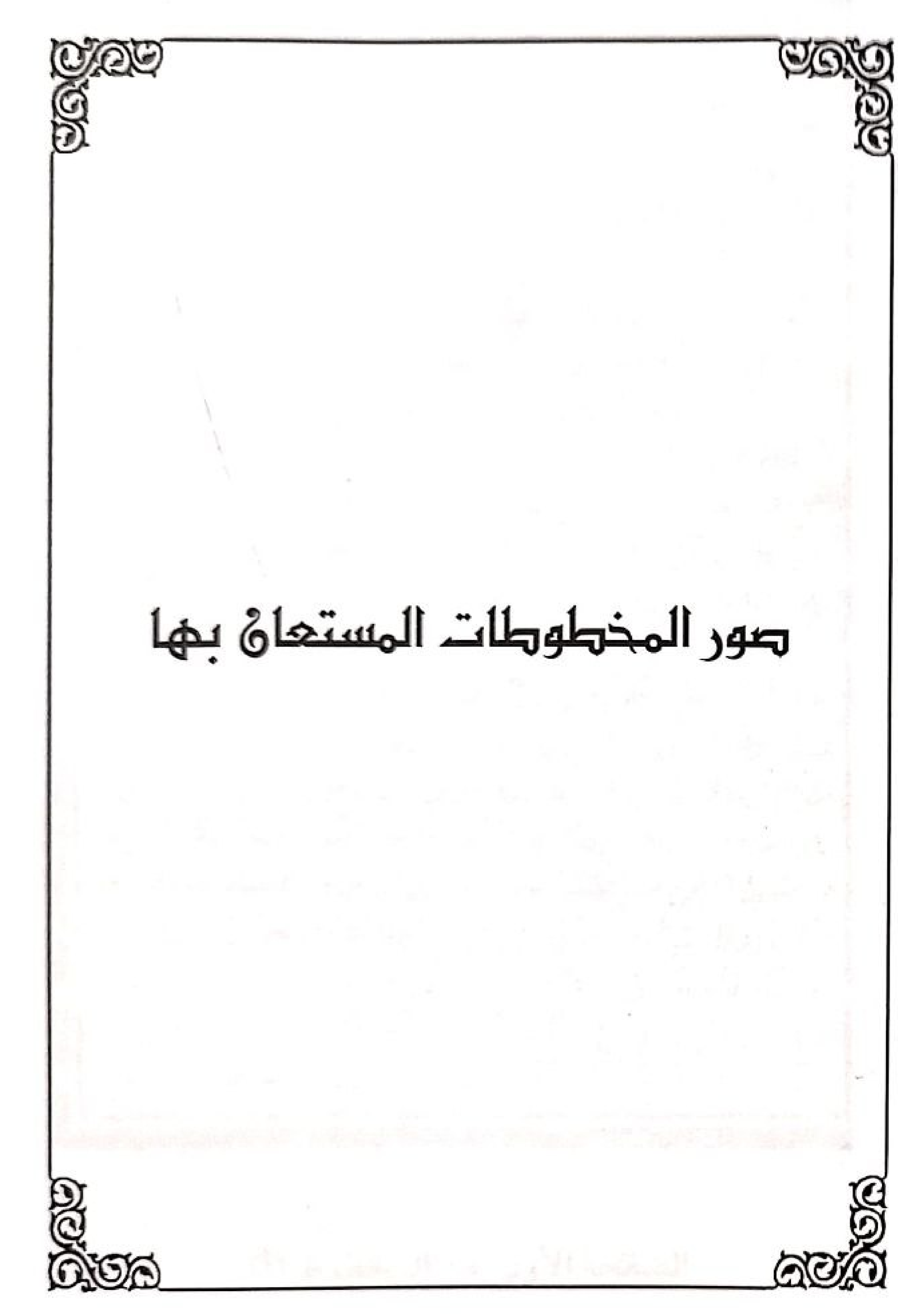
أسأله تعالى العفو والغفران.

فهو من وراء القصد، وإليه السبيل

محمد أديب الجادر

دمشق: جمادى الآخرة ١٤٣٦

آذار ٢٠١٥



صور المخطوطات المستعان بها

والإيمان والإحسان لكن الشيخ رضي الله عنه اقتصر في كتاب له لم يتمه كما
تحرير البيان في تقرير شعب الإيمان ومراتب الإحسان ولم يخطر بعد على قلب
أحد إلى الآن فأردت أن أكمل هذه النسخة تيمناً وتبركاً تكميلاً للتحفة
الذي لو رآها أرباب الدين لنالوا أسرار الإسلام والإيمان والهداية ولو
بصرها أرباب اليقين لأبصروا أسرار الإيقان والإحسان والولاية الذي كشف
عن قلوبهم ستائر النفس وشرف نفوسهم بحظائر القدس حتى كانوا في أمرهم
على بصيرة واستوى لديهم ألبابهم العلانية والسريرة وصلوات الله وسلامه
على مطلع أنوار ومنبع أسرار محمد المصطفى وعلى آله وصحبه وأتباعه أما بعد
فهذه عجالة تميط الخمار عن وجوه أبكار معان وأسرار مستفيضة بمحاسن
ألفاظ نبوية وجوامع كلمات مصطفوية تضمنها قوله صلى الله عليه وسلم الإيمان
بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى
عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان أبرزت رجاء أن تتشرف بها الأكوان
ويعترف له العرفان ممن استعد لتحقق بحقائق الإيمان ومراتب الإحسان
فإنه هو المتعين لاجتلاء جمال هذه العرائس والمتميز بالاحتظاء من أمثال
هذه النفائس اللهم وفق لإتمام هذه النية وحقق انتظام هذه الأمنية
بمنك ويمنك اعلم أن الإيمان عبارة عن نور حاصل من قبل الحق تعالى منعطف
من حضرة الاسم الرحيم فالهادي بها المؤمن لإزالة ظلمة الهوى والطبع قابل لكل
ما يرد منه من دين وشرع ونحوهما فيستحق حامله أن يوصف بقوله المذكور الإيمان
من حظ الرحمن فسمي بهذا الوصف والحكم الخاص إيماناً وتصديقاً وفي التحقيق
إنما هو أول اقتباس من العلم المتعلق بالدين والشرع وجدان النفس من غير
اعتبار تأييد بدليل وبرهان عقلي أو سمعي أو كشفي فإذا تأيد بشيء من ذلك
صار علماً وإيقاناً وخرج من كونه إيماناً ثم إن محل هذا النور يختلف بحسب رفع
حجب العادة والطبع الحائلة بين النفس والقلب وبين قبولهما الدين والشرع

الصفحة الأولى من المخطوط (أ)

المحققين بيان واف شاف ولا يلزم تقليده على العوام بل من يحق محقق
والنوع الثاني قول وعمل مخالف لظاهر الشرع والسنة وإماطة هذا النوع
من الأذى مخالفة الهوى وشهوة النفس ومجانبة الطبع والرجوع إلى متابعة
ظاهر الشرع والسنة والجماعة مع رعاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومع أن ذلك من المهمات اللازمة لكن قول لا إله إلا الله أهم منه وأفضل
وأولى وأقوى وأوكد لأنه جميع ما ذكرنا عليه [illegible] روحها ومحيطها ومنبعها
إليه وأما الأذى المتعدي فنوعان نوع متصل بظاهر المؤمن ونوع منفصل
خارج عنه أما المتصل فهو كالمكروهات والمستقبحات الطبيعية القائمة
بشخص المؤمن [illegible] لغيره وحسن نفسه كشعر إنسان الإنسان الذي
إماطته عن طريق الذكر والمكالمة والتلاوة شرعت بالسواك وهو مطهر للأذى
الذي [illegible] إماطته أداء العلم ويشكل [illegible] الذي إماطته أداء بالعطر
وكقول شعر إبطه لأذى الغبار وإماطته شرعت بالنتف وأمثال ذلك وأما
النوع المنفصل عنه فكل شوك وحجر أو قذر أو عقرب أو حية تعترض
في محل الخلق ويؤذيهم وإماطة هذا النوع إزالته عنها بأي وجه أمكن
ودفع ما فصلناه من الأمور بالحركات [illegible] من أحكام تلك العبادات
[illegible] إماطة الأذى إزالة أحكام العادات وعبادات
الأحكام ليشمل الكل جمع الجمع والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى

الصفحة الأخيرة من المخطوط (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نور ضمائر ارباب الدين بانوار
الاسلام والايمان والهداية ونور بصائر
اصحاب اليقين باسرار الانعام والاحسان
والولاية الذي كشف عن قلوبهم ستائر النفس
وشرف بعيونهم حضائر القدس حتى كانوا من
ربهم على بصيرة واستوت لدى البابهم العلانية
والسريرة وصلوات الله وسلامه على مطلع انوار
ومنبع اسراره محمد المصطفى وعلى اله واصحابه وانصار
اما بعد فهذه عجالة تميط الخمار عن وجوه ابكار
المعاني واسرار منجبة بمحاسن الفاظ نبوية
وجوامع كلمات مصطفوية تضمنها قوله صلى الله
عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها
قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
والحيا شعبة من الايمان ابرزت رجاء ان تتشرف
استشراف من تشرفت به الاكوان وتعرف له العرفان
ممن استحق للتحقق بحقائق الايمان ومراتب الاحسان
فانه هو المتعين للتحقق بحقائق اجتلاء جمال هذه
العرائس والمتميز بالاختطاف من امثال هذه
النفائس اللهم وفق لاتمام هذه النية وحقق
النظام

الصفحة الأولى من المخطوط (ب)

الغلبات مؤذية ظاهرا وباطنا وقولنا الأماطة
ازالة احكام الغلبات وغلبات الاحكام تشمل الكل
وتجمع الجميع والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
هذا آخر كتاب تحرير البيان في تقرير شعب الايمان
ورتب الاحسان والحمد لله اولا واخرا وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تمت الرسالة
بحمد الله عن يد كاتبها الفقير محمد ابن عزني المغربي
الجزائري غفر الله له ولوالديه
ومشايخه واخوانه
امين
امين
تم

الصفحة الأخيرة من المخطوط (ب)

تحرير البيان في تقرير شعب الإيمان ورتب الإحسان

تأليف

محيي الدين ابن عربي

٥٦٠ـ٦٣٨هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نوّر ضمائرَ أرباب الدين بأنوار الإسلام والإيمان والهداية، وبصّر بصائر أصحاب اليقين بأسرار الإنعام والإحسان والولاية، الذي كشفَ عن قلوبِهم ستائرَ النفس، وشرّف بغيوبهم حظائر القدس، حتى كانوا من ربِّهم على بصيرة، واستوى[1] لدى أَلبابهم العلانيةُ والسريرة، وصلوات الله وسلامه على مطلعِ أنواره، ومنبع[2] أسراره محمد المصطفى وعلى آله وصحبه وأنصاره.

أما بعد، فهذه عجالةٌ تُميط الخمارَ عن وجوه أَبكار المعاني، وأسرارٍ منحجبة[3] بمحاسن ألفاظٍ نبوية، وجوامع كلمات مصطفوية تضمَّنها قوله ﷺ: «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أفضلُها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن

(١) في (ب): واستوت.

(٢) في (أ): ومسمع أسراره.

(٣) في (أ): أبكار معان وأسرار مستصحبة.

الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان»[1] أبرزت رجاءَ أن تشرف

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً».

وفي رواية للبخاري: «بِضْعٌ وستُّونَ، والحَيَاءُ شُعْبَة من الإيمان».

زادَ في رواية: «وَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ».

وأسقطَ الترمذي من روايته: «والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان».

وعندهُ في أخرى: «الإيمانُ أربعةٌ وستُّونَ بابًا».

وعند النسائي في روايةٍ أُخرى «الحياءُ شعبةٌ من الإيمان» مُختصرًا.

هذا الحديث رواه البخاري (٩) في الإيمان: باب أمور الإيمان بلفظ: «الإيمان بضعٌ وستون شعبةً، والحياء شعبةٌ من الإيمان»؛ ومسلم (٣٥) في الإيمان: باب بيان عدد شعب الإيمان؛ وأبو داود (٤٦٧٦) في السنَّة: باب في ردِّ الإرجاء؛ والترمذي (٢٦١٤) في الإيمان: باب ما جاء في استكمال الإيمان؛ والنسائي (٥٠٠٤ـ ٥٠٠٦) في الإيمان: باب ذكر شعب الإيمان؛ وأخرجه ابنُ ماجه (٥٧) في المقدمة بلفظ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ سَبْعُونَ بَابًا». وكذا وقعَ الترَدُّدُ في رواية مسلم من طريق سهيل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار، ولأبي عوانةَ في «صحيحه» من طريق: «ست وسبعون، أو سبع وسبعون». وأخرجه أحمد في المسند: (٨٧٠٧ و٩٠٩٧ و٩٤١٧ و٩٤٥٥).

وقد رجَّحَ بعضُهم روايةَ البخاري لأنها المتقنة، وما عداها مشكوكٌ فيها.

قال الحافظ: وأما رواية الترمذي بلفظ «أربعٌ وستون» فمعلولة. . =

استشراف ممّن تشرَّفَتْ به الأكوان[1]، وتعرف له العرفان ممّن استعدّ[2] ليتحقّق بحقائق الإيمان ومراتب الإحسان، فإنه هو المتعيّنُ لإجلاء جمال[3] هذه العرائس، والمتميز[4] بالاختطاف[5]

= جاء في «جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ» ١/١٥٧ (١٩) قول ابن الأثير شارحًا:

(بضع): البِضْعُ: القطعةُ من الشي، وهو في العدد ما بين الثلاثِ إلى التسع، لأنه قطعةٌ من العدد.

(الحياءُ من الإيمان): جعلَ الحياء - وهو غريزةٌ - من الإيمان، وهو اكتسابٌ، لأنَّ المستحيي ينقطِعُ باستحيائه عن المعاصي، وإنْ لم يكنْ له تَقِيّة، فصار كالإيمانِ الذي يقطعُ بينها وبينه، وإنما جعلَهُ بَعْضًا من الإيمان، لأنَّ الإيمان بمجموعِه ينقسِمُ إلى ائتمارٍ بما أمرَ اللهُ به، وانتهاءٍ عمَّا نهى الله عنه، فإذا حصلَ الانتهاءُ بالحياء كان بعضَه.

(الشُّعْبَة): الطائفةُ من كلِّ شيء، والقِطْعَةُ منه.

(إماطةُ الأذى): أماطَ الشيءَ عن الشيء: إذا أزالَهُ عنه وأذهبَهُ. والأذى في هذا الحديث، نحو الشَّوْك والحجرِ وما أشبَهَهُ.

(١) في (أ): أبرزت رجاء أن تشرف به الأكوان.

(٢) في (ب): ممن استحق.

(٣) في (ب): المتعين للتحقق بحقائق اجتلاء جمال.

(٤) في هامش (أ): وفي نسخة: والمتين.

(٥) في (أ): والمتميز بالأخطا من أمثال.

من أمثال هذه النفائس، اللهم وفّق لإتمام هذه النية، وحقّق انتظام هذه الأمنية[1] بمنّك ويمنك.

* * *

فصل إنّ الإيمان عبارةٌ عن نورٍ حاصل من قبل الحقّ تعالى، متعيّنٌ من حضرة الاسم الرحيم، والهادي، والمؤمن، لإزالة ظُلمة الهوى.

والطبعُ قابلٌ لكلّ ما يردُ منه من دينٍ وشرع[2] ونحوهما، فيستحقُّ حاملُه بوصف قبول المذكور الأمن[3] من سخط الرحمن، فسُمّي بهذا الوصف، والحكم الخاص إيمانًا وتصديقًا، وعلى التحقيق إنّما هو أولُ اعتبارٍ من العلم المتعلّق بالدين والشرع، وحداني النعت من غيرِ اعتبار تأيّدٍ[4] بدليلٍ وبرهانٍ عقلي أو سمعي أو كشفي، فإذا تأيّد بشيءٍ من ذلك صار عِلمًا وإيقانًا، وخرجَ من كونه إيمانًا.

---

(١) في (ب): وحقق النظام لهذه الأمنية.

(٢) في (ب): دين أو شرع.

(٣) في (أ): يوصف قبوله المذكور الأمان من سخط.

(٤) في (أ): تأييد.

ثم إنّ محلَّ هذا النور يختلفُ بحسب رقّة حُجُب العادة والطبع الحائلة بين النفس والقلب، وبين قبولهما الدِّينَ والشرع، وبحسب كثافتهما، فمهما رقّتِ الحُجُب وشفّت، يردُ هذا النور في ضمن إخبار مُخبرٍ صادقٍ عن الحقِّ تعالى، رغمًا منه بطريق[1] السمع غالبًا، ويخلص إلى القلب، فيتلقَّاهُ القلبُ بالقبول، وذلك يكون نفس التصديق الذي محلُّه القلب.

والدليلُ على كونه نُورًا قوله ﷺ: «فذلك مثلُهم ومثلُ ما قَبِلوا من هذا النور» وذلك في آخر حديث تمثيلَ اليهود والنصارى والمسلمين بمن استأجرَ قومًا[2] إلى الليل بأجرٍ معلوم، وتركهم العملَ عند الظهر، وإبطالهم الإجارة والأجرة، ثم آخرين إلى الليل بذلك المبلغ، وتركهم العمل عند العصر وإبطالهم الإجارة، ثم آخرين إلى الليل واستكمالهم العمل واستيفائهم تمام الأجرة[3].

---

(١) في (أ): وعما منه بطريق.

(٢) في (أ): استأجر يومًا.

(٣) عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَثَلُ المسلمينَ واليَهودِ والنَّصارَىٰ، كمَثَلِ رجلٍ استَأْجَرَ قومًا يعمَلونَ له عمَلاً إلى الليلِ على أجرٍ مَعْلوم، فعَمِلوا له إلى نِصْفِ النهار، فقالوا: =

وأمّا الدَّليلُ على وروده على القلب قولُه عزَّ من قائل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢] فتأييدهم بعد إيراد هذا النور على قلوبهم، إنّما يكون بتقويته بأوصافِ الروح الروحانية من الطهارة، وعدالة الأخلاق والأوصاف، والنزاهة عن أحكام النقص والانحراف[١]، فبهذه الأوصاف الروحانية الوجدانية الاعتدالية يظهرُ القلبُ وآثاره، ويتميّزُ بعد أن كان مغمورًا ومستورًا

= لا حاجةَ لنا إلى أجْرِكَ الذي شَرَطْتَ لَنا، وما عَمِلْنا باطِلٌ. فقال: لا تَفْعلوا، أَكْمِلوا بقيّةَ عمَلِكُمْ، وخُذوا أجْرَكمْ كامِلاً. فأَبَوْا وتَرَكوا، واستأجَرَ آخَرِينَ بعدَهُمْ، فقال: أَكْمِلوا بقيّةَ يومِكُمْ، ولكُمُ الذي شرَطْتُ لهم من الأجر. فعَمِلوا حتىٰ إذا كانَ حينَ صلاةِ العَصر، قالوا: لَكَ ما عَمِلْنا باطلٌ، ولكَ الأجرُ الذي جعلتَ لنا. فقال: أَكْمِلوا بقيّةَ عمَلِكُمْ، فإنَّ ما بَقِيَ من النهارِ شيءٌ يسير. فأَبَوْا، فاستأجَرَ قومًا أنْ يَعمَلوا بقيّةَ يومِهم، فعَمِلوا بقيّةَ يومِهم، حتى غابَتِ الشمس، فاستكملوا أجرَ الفريقَيْنِ كلَيْهِما؛ فذلك مَثَلُهمْ ومَثَلُ ما قَبِلوا من هذا النُّور».

أخرجه البخاري (٢٢٧١) في الإجارة، باب الإجارة من العصر إلى الليل، و(٥٥٨) في مواقيت الصلاة: باب من أدرك ركعةً من العصرِ قبل الغروب.

(١) في (أ): والنزاهة من أحكام البغض والانحراف.

ومقهورًا تحت سلطنة النفس وآثارها. كما سيتَّضحُ بعد ذلك عن قريبٍ إن شاء الله تعالى.

ثم بعد هذا الورود يسري أَثرُه من الباطن والقلب إلى ظاهر النفس حتى إلى صورتها البدنية، وسائر قواها وأعضائها، فتنقاد وتستسلمُ وتلين بعد انشراحِ الصدرِ له ولأحكامه الظاهرة والباطنة. كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣] وحينئذ يُسمّى هذا النور بحكم سرايته في الظاهر، وتليينه إيّاه، وانقياد الظاهر له ولأحكامه إسلامًا. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

فالصَّدرُ حقيقةُ(١) ما يصلح أن يصدرَ منه الأحكام، وتتعيّن منه الآثار، كما يُقال لمن يُصدرُ من الأمر والنهي من الأناسي إنّه صدر، ولِمَا يتعيّنُ منه حكم اليمنة واليسرة، والأقصى والأدنى صدر الدار، ولذلك سُمّي نحرُ الإنسان(٢) صدرًا، لأنه

---

(١) في (ب): فالصدر حقيقته.

(٢) في (ب): وكذلك يُسمّى نحر الإنسان.

يتعيّن به حكمُ يُمنتِهِ ويُسرته، فسُمّي ظاهر[1] الجوهر الإنساني[2] المتعلّق بروحه الحيوانية صدرًا، باعتبار ما يصدرُ من الأحكام[3] الروحانية كالعلوم، والأخلاق الجميلة المعتدلة، والأحكام والصفات الجسمانية كالغضب والشهوة، والأخلاق المنحرفة الرذيلة بغلبتها عليه، وشرحه فتحه وفتقه، وإخراجه عن كمام أحكام الهوى الشيطانية، وظلام الطبيعة الحيوانية بعد أن كان هو والروح الحيوانية، وجميع أحكامهما وصفاتهما رتقًا غير متميّزٍ، بل أحكامُهُ مستورةٌ مغلوبةٌ ممتزجةٌ بأحكامها، وبهذا الشرحِ والفتق المذكور تظهرُ آثارُهُ، فتصير النفسُ[4] لوّامةً، أو تغلب على آثارها فتصير مطمئنةً بعد أن كانت عند غلبة الحيوانية أمّارةً بالسوء.

ومن ههنا يُعرفُ أَحدُ معاني قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وبعض مفهوماته:

---

(١) في (ب): فيُسمى ظاهر.

(٢) في (ب): الجواهر الإنساني.

(٣) في (ب): ما يصدر منه الأحكام.

(٤) في (ب): فتظهر النفس.

فإنّ السموات: كنايةٌ عمّا علتْ رتبتُه، وهي الروح الروحانية.

والأرضُ: عمّا سفلتْ، وهي الروح الحيوانية،

ورتقُهما: امتزاجهما، أو عدمُ تميّز أحكامهما.

وفتقهما: ما ذكرنا.

والماء: كنايةٌ عن العلم، فإنّ به حياةَ الأشياء، ومنه ظهرت وتعيّنت مُتّصفةً بالحياة الفطرية، لكونها حامدةً[1] مسبِّحة لربِّها ومُوجدها، فلو لم تحسَّ به فطرةً لما حمدتْهُ ولا سبَّحته، فبهذا الشرح والفتقِ المذكور تقبلُ سراية النور الإيماني، فيحسُّ بأن له خالقًا منه مبدؤه وإليه مَعاده ومنتهاه، يلزمُه الانقيادُ لأوامره وزواجره، حتى يصيرَ بذلك أَهلاً للرجوع إليه، فتنقادُ النفسُ، وتستسلمُ ظاهرًا وباطنًا، إمّا رغبةً فيه، أو فيما عنده.

والإشارة إلى ما قلنا إنّ الصدرَ وشرحه معنويٌّ فيما ورد في حديثِ المعراج: «أنَّ جبريلَ نزل، ففرجَ صدري، ثم غسلَهُ، ثم جاء بطستٍ ممتلئٍ إيمانًا وحكمة، فأفرغه في

---

(١) في (أ): لكونها جامدة.

صدري. . .»[1] إلى تمام الحديث.

فلمّا كان الإيمانُ والحكمة غيرَ محسوسَيْنِ، يكون محلُّهما ههنا معنويًا غيرَ محسوسٍ. وتحقيقُ ذلك ما قررناه.

ويؤيّده ذكر وضع الوزر الذي معناه إزالةُ أَثر الانحراف[2] الذي هو من خصائص الشيطان عنه على أثر ذكر شرح الصدر في سورة ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾.

ومهما تراكمتِ الحُجب لم يردْ هذا النور في ضمن الأخبار المذكور إلاّ على ظاهر النفس من قبل أن ينشرحَ الصدرُ المُشار إليه آنفًا، فتتلقّاه النفسُ بقبولٍ مختلس، فتنقاد له ولأحكامه الظاهرة الحسّية رغبةً أو رهبة، متعلّقةً بالظاهر كحقن الدم، وصون المال[3] والعرض. ويُسمّى هذا النور بهذا القدرِ اليسير

---

(١) حديث أخرجه البخاري (٧٥١٧) في التوحيد، باب ما جاء في ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ و(٣٥٧٠) في الأنبياء، باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، ومسلم (١٦٢) في الإيمان، باب الإسراء، والترمذي (٣١٣١) في التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل، والنسائي (٤٤٨) في الصلاة، باب فرض الصلاة.

(٢) في (ب): إزالة لغير الإنحراف.

(٣) المثبت في (أ): وحصون المال.

من الانقياد الظاهري إسلامًا؛ لكن لمّا لم يخلصْ ذلك إلى القلبِ لكثافةِ الحُجُب، وعدم سرايته إلى الباطن أصلاً، لم ينشرحْ له الصدر، ولم ينبسط لقبوله، كما قاله تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤] فأمّا إذا سرى أثرُ قبولِ الظاهر إلى الباطن، وحكم قبول القلب إلى النفس لتلطيف الحجب[١]، وغلبة حكم العبادة على أحكام العادة، فيحصل إمّا تمامُ شرح الصدر على نحو ما شُرح أو بعضه، وحينئذ يعمُّ حكمُ القبول القلبَ[٢] والنفس، ويتّحدُ وصفُهما الذي هو الإسلام والإيمان، كما أخبر اللهُ تعالى عن حال مؤمني قوم لوط في ذلك بقوله عزَّ من قائل: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ـ ٣٦] فعلى هذا يكون لهذا النور بحسب محلَّيْهِ ـ أعني النفس والقلب ـ ظاهرًا وباطنًا[٣]، فظاهرُهُ الانقيادُ القائم بالنفس، وآلاتها التي هي

---

(١) في (ب): بتلطيف الحجب.

(٢) في (ب): القبول للقلب.

(٣) في (ب): وظاهرًا وباطنًا.

القوى والأعضاء البدنية وله ثلاثُ مراتب:

فمبدؤها: وصفُ المنافقين، وذلك قبل شرح الصدر على النمط المشار إليه، وهو انقيادُ النفس الأمّارة بالسُّوء رغبةً أو رهبة دنيوية فحسب[1].

ووسطها: نعتُ الأبرار[2] من المسلمين، وهو انقيادُ النفسِ اللوّامة للأوامر والنواهي ظاهرًا وباطنًا، ولكن عن رغبةٍ ورهبةٍ متعلّقةٍ بالآخرة، واستيفاء حظوظ النفس في الجنة بنعيمها المحسوسة ودرجاتها. وذلك في أثناءِ شرحِ الصدر.

وغايتُها: صفة المؤمنين المُوقنين المقرّبين المُخلصين، وهو انقيادُ النفس المطمئنة ظاهرًا وباطنًا، خالصًا مُخلصًا من غير شائبة حظِّ النفس أصلاً دنيا وآخرة.

وهو المُراد بقول الخليل عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] وبما أَوصى به بنيه ويعقوب بقولهما[3]: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

---

(١) في (أ): دنياوية فحسب.
(٢) في (ب): نعت الأسرار.
(٣) في (ب): بقوله.

وذلك بعد تمام شرح الصدر، وفتح القلب، وهو ظهورُه من مشيمة النفس أو الروح، كما سنذكره عن قريب إن شاء الله تعالى.

وهذا النورُ الإيمانيُّ - من هذه الحيثية الظاهرية، ومن حيثية عمومِ الحكم، واتّحادِ الوصف المذكورَيْن قبل هذا أيضًا - قابلٌ للزيادة والنقصان، لكون الأعمال البدنية منها، فيزيد بزيادتها، وينقصُ بنقصانها.

وأما باطنه وحقيقتُه المكتوب في القلب فهو مجرّدُ التصديق، وحدانيُّ النعت، غيرُ قابلٍ من هذه الحيثية زيادةً ونقصاناً.

نعم قد يقوى ويضعفُ ظهورُه برقّة الحُجُب وكثافتها، وربّما يتأيّدُ ويتقوّى وتتفرّعُ منه أَشعةٌ في الظاهر والباطن؛ ولكن القوّةَ والضعفَ والتأيُّدَ والظهور والأشعة كلّها من نعوتِهِ وصفاته، لا من أجزاء حقيقته ومقوماته[1]. فاعلم ذلك.

ثم إنَّ هذه[2] الحيثية الباطنية التصديقية أيضًا لها ثلاث درجات:

---

(١) في (أ): أو مقوماته.

(٢) في (أ): ثم عن هذه.

أولها إيمان العوام: وهو الاعتقادُ الصحيحُ السَّليمُ الذي هو أَصلُ الصراط المستقيم.

ووسطها سرايتها في النفس: وجميعُ قواها وآلاتها البدنية، واستصحابها مع كلِّ حركةٍ وسكنةٍ قولاً وفعلاً، وثمرة ذلك الائتمارُ بجميع الأوامر، والانتهاء عن جميع النواهي ظاهرًا وباطنًا، وقوله ﷺ: «لا يزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن...»[1] الحديث من هذه المرتبة الوسطى الإيمانية، فإنه نفى الإيمانَ عمّن لم يستصحبْه في جميع حركاته وسكناته، ولو صحبه حالَ فعل الزنا والسرقة باستحضار الحقِّ تعالى، ولزوم أوامره ونواهيه، لما أَقدم على ذلك، فكانَ الإيمانُ المنفيُّ من هذه المرتبة الوسطى لا الأعلى والأدنى.

---

(١) حديث رواه البخاري (٢٤٧٥) في المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه، و(٥٥٧٨) في الأشربة، و(٦٧٧) في الحدود، و(٦٨١٠) في المحاربين، ومسلم (٥٧) في الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، وأبو داود (٤٦٨٩) في السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان، والترمذي (٢٦٢٥) في الإيمان، باب ما جاء لا يزني الزاني، والنسائي ٨/ ٦٤ (٤٨٧٠) في السارق، باب تعظيم السرقة، وابن ماجه (٣٩٣٦). وأحمد في المسند ٢/ ٣٨٦ (٨٧٨١).

وأعلى مراتب الإيمان: ظهورُ عروقةِ الكلّيةِ الضاربة إلى الروح الروحانية الآتي بيانها أو تعدادها[1] مع شيءٍ من جزئياتها.

وثمرةُ ذلك تعديلُ الأخلاق وتبديلها، أو صرفُها فيما ظهر حسنًا جميلاً بالنسبة إلى تلك المصارف.

ويؤولُ الأمرُ في هذه المرتبة إلى أن تزولَ الحُجُب كلُّها أو أكثرها، ويظهر القلبُ، فتصحو سماؤه عن غمام الشكِّ والريب، وتتجلَّى فيه آيات الربِّ تعالى وتقدس، ويصيرُ الإيمانُ إحسانًا، ويعود كشفًا وعيانًا و﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف: ٤٤].

فدخل في دائرة مرتبة **الإحسان.** ولها ثلاث مراتب أيضًا:

أولها: بعد ظهور حقيقة القلب المتحقّق بحقيقة: «فإذا أحببتُهُ كنتُ له سمعًا وبصرًا ولسانًا ويدًا ورجلاً»[2].

---

(١) في (أ): وتعداها.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (٦٥٠٢) في الرقاق، باب التواضع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: من عادى لي وليًا فقد آذنته بحربٍ، وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ=

وثمرتُها: الرؤيةُ في ظاهر كلِّ شيءٍ بلا تمييز.

ولسانُها: ما رأيتُ شيئًا إلاّ ورأيتُ الله قبلَه.

ووسطاها: التحقّق بحقيقة أنَّ الله قال على لسانِ عبدِهِ: «سمع الله لمن حمده»[1].

وثمرتها: الرؤية في باطن[2] كلِّ شيءٍ مع التميّز.

ولسانُها: ما رأيتُ شيئًا إلاّ ورأيتُ الله بعده أو فيه.

ومنتهاها: التحقُّقُ بالجمع بين الظاهر والباطن ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٩].

وثمرتها: الخلافةُ، ثم الكمال.

= إليَّ من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ به، وبصرَهُ الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها...» والحديث أشرف حديثٍ في صفة الأولياء.

(١) حديث رواه مسلم (٤٧٦) في الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، وأبو داود (٨٤٦) في الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه، والترمذي (٣٥٤٧) في الدعوات، باب من أدعية النبي ﷺ. عن ابن أبي أوفى.

(٢) في (أ): الرؤية باطن كل.

ولسانها: ما رأيتُ شيئًا إلاّ ورأيتُ الله معه.

وأما مقام ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ فمختصٌ بصاحب ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

وثمرته: الأكملية.

ولسانُه: رأيتُ الله ولم أر معه شيئًا غيره، وذلك في وقته الخاصِّ الذي لا يسعُهُ فيه مَلَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسل[١].

فاعلم ذلك ترشدْ، ثم نعود إلى ما نحن بصدد بيانه ونقول:

اعلم أيَّدك الله تعالى أنَّ الإيمان بمعناه اللغوي الذي هو إعطاء الإيمان، إنَّما يتعدَّى بنفسه، فيقال: آمنته، وإما بتضمين معنى التصديق والاعتراف الباطني، فيتعدّى بالباء لقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] وذلك باطنه المتعلّقُ بالقلب، وهو

---

(١) قال العجلوني في كشف الخفا ٢/٢٢٦ (٢١٥٩) تحت قوله: «لي مع الله وقت لا يَسعني فيه ملك مقرَّبٌ، ولا نبي مرسل»: حديث تذكره الصوفية كثيرًا. وهو في «الرسالة القشيرية» بلفظ: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربّي» ويقرب منه ما رواه الترمذي في «الشمائل» وابن راهويه في «مسنده»... قال القاري: قلت: ويؤخذ منه: أراد بالملك المقرَّب: جبريل، وبالنبي المرسل أخاه الخليل... ثم قال القاري: وفيه إيماء إلى مقام الاستغراق باللقاء المعبَّر عنه بالسُّكر والمحو والفناء.

الأصل، وإما بتضمين معنىٰ الانقياد والاستسلام المتعلِّق بالنفس، فيتعدّىٰ باللام، كقوله عزّ وجل: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٧٥].

وسرُّ ذلك أنَّ الباء أولُ مراتب الظهور والإثنينية، كما أنَّ الهمزةَ التي هي الألف المتحرّكة[1] أوّلُ مراتبِ النفسِ الوحداني الذي له حُكم مبدئيةِ الكلام، ألا ترى أنَّ الباء كان مبدأً ظهور صفةِ الكلام القرآني عند تميُّزِها عن الموصوف بتصوّرها واكتسائها[2] بكسوة الأصوات والحروف في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ واختصاص ظهورِ صورتها بصورة الانتصاب المختصّة بالألف بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ في مبدأ الكلام، ليقوم مقامها في حكم المبدئية، ممّا يؤيِّدُ ما ذكرنا.

وكذلك التصديقُ المجرّد لمّا كان مبدأً لظهور هذا النور الإيماني في القلب، ثم في النفس[3]، ثم آلاتها ومظاهرها لم يناسبْه بتعدِّيتها لفظًا إلاَّ الباء التي هي لمبدئية الظهور،

---

(١) في (ب): الألف التحركة.

(٢) في (أ): واكتسابها.

(٣) في (ب): ثم النفس.

وآلته[١]، وإلصاقه الباطن[٢] بالظاهر، والظاهر بالباطن.

وأمّا اللام فهي منبئةٌ عن كثرة العالم، لكن بسراية حكم الوحدة والمعيّة فيها، ولهذا كانت للملك المرتبطِ بالمملوكات، وللمعلّية المنبئة[٣] عن المعلولات، والكلُّ يُخبر عن الكثرة، ليتوقَّفَ كلُّ واحدٍ من المرتبطين على الآخر تعقّلاً ووجودًا، أَلا ترى أنَّ اللام إذا اجتمعتْ مع الألف الساكنة التي هي صورةٌ للغيب أولاً وآخرًا متوجّهة إليها عند فتحها، كان مقتضاها النفي، كما أنَّ العالم الصغير الذي حقيقتهُ[٤] أَصل العالم الكبير إذا توجّه إلى مبدئه الذي هو عينُ حقيقته[٥] يقتضي توجُّهُهُ بالفتح النفي والفناء، كما أشار الإمام أبو القاسم الجُنيد[٦] برَّدَ اللهُ مضجعَهُ ورضي عنه بقوله: (الحادثُ إذا

---

(١) في (ب): التي هي لمبدئيته للظهور، وآلة.

(٢) في (أ): واتصافه الباطن.

(٣) في (أ): وللعلية المنبئة.

(٤) في (أ): الذي حقيقة أصل.

(٥) في (ب): غيب حقيقته.

(٦) الجنيد بن محمد البغدادي أبو القاسم: صوفي من العلماء، مولده ومنشؤه ووفاته ببغداد، قال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه، =

قُورن بالقديمِ لم يبقَ له أثر).

وكذلك هذا النورُ الإيمانيُّ، لمّا لم يظهر في الرتبة الظاهرية الإسلامية إلاّ بصورة كثرةِ انقياد النفس وقواها وآلاتها البدنية ما ناسب تعدّيه[1] لفظه إلاّ اللام المنبئة عن الكثرة، فالذي يقبلُ التشعّبَ والانقسام، والزيادةَ والنقصان من هذا النور إنّما هو هذا الظاهرُ المعدّى باللام الذي هو حقيقةُ الإسلام، لا الباطن[2] المعدّى بالباء الذي هو الأصل الذي تفرّعتْ منه الأغصان والشُّعَبِ المذكورة[3] في هذا الحديث.

* * *

= وعدّه العلماء شيخَ مذهب التصوف؛ لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة. توفي سنة (٢٩٧هـ).

(١) في (ب): ما ناسب تأدّيه.

(٢) في (ب): إلا الباطن.

(٣) في (ب): والتشعب المذكور.

مطلب تقسيم شعب الإيمان في «ذريعة الراغب»[1]

وقد ذكر الإمام أبو القاسم الراغبُ في «ذريعته»[2] في معنى انقسام الإيمان المذكور في هذا الحديث كلامًا بليغًا، وحصر شُعَبَهُ باثنتين وسبعين شعبة.

وحاصل كلامه: أنَّ الإيمان شيئان تصديقٌ وأعمال.

---

(١) هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب: أديب من الحكماء العلماء، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه: «محاضرات الأدباء» و«المفردات في غريب القرآن». توفي سنة (٥٠٢هـ).

كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة» يتألف من سبعة فصول:

١ـ في أحوال الإنسان وقواه وفضيلته وأخلاقه. ٢ـ في العقل والعلم. ٣ـ في القوى الشهوية. ٤ـ في القوى الغضبية. ٥ـ في العدالة والظلم، والمحبة والبغض. ٦ـ في الصناعات والمكاسب والإنفاق والجود والبخل. ٧ـ في الأفعال.

قيل إن الإمام الغزالي كان يستصحبُ الكتاب هذا دائمًا ويستحسنه لنفاسته.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص(١٠٦) مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٣ـ١٩٧٣.

فالتصديق على ثلاث مراتب:

أعلى: وهو المُراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥].

وأوسط[١]: وهو الظنُّ المقارب لليقين بسبب إمارةٍ قوية، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٤٦].

وأدنى: وهو التقليد المحض.

والأعمال أيضًا ثلاثة:

خلافة معينة: بقوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

وعبادة مراده: بقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وعمارة أرضٍ: كما قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

فهذه ستة. وكلُّ واحدٍ منها صدورُهُ إمّا أن يكونَ عن رغبةٍ ورهبة، أو عن إخلاصٍ، فهذه اثنتا عشرة، وكلُّ واحدٍ منها إمّا أن يكونَ المؤمنَ[٢] في مبدئه أو في وسطه أو في منتهاه؛

---

(١) في (ب): وواسطه.

(٢) في (ب): فهذه ستة. وكل واحد منها إما أن يكون المؤمن في مبدئه.

فإنَّ كلَّ فضيلةٍ ورذيلة لا تنفكُّ عنهما[1].

أما الفضيلة: ففي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾ [المائدة: ٩٣].

وأما الرذيلة: ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ [النساء: ١٣٧].

فاثنتا عشرة في ثلاثة صارت ستًّا وثلاثين، وكلُّ واحدٍ منها إمّا أن يكون باجتباءٍ وهبيٍّ، أو باهتداءٍ كسبي، فصارت اثنتين وسبعين شعبة من غيرِ زيادةٍ ولا نقصان.

هذا حاصل كلام الراغب رحمه الله، وقد أجادَ في هذا الحصرِ والتقسيم؛ إلاّ أنّه حمل (البضعَ) الذي هو العددُ المجهول على الاثنين، وقد اختُلف في أنّ الاثنين هل هو من العدد أم لا؟ على أنَّ الأكثرَ مالوا إلى أن (البضعَ) لا يقعُ إلاّ على العدد المجهول من الثلاثة إلى التسعة. فقد عيّن واختار أمرًا مُختلفًا فيه، وأيضًا يصيرُ الفرعُ على ما قرّرَهُ أفضلَ وأعلى من الأصل، والله أعلم.

---

(١) في (ب): لا تنفك عنها.

قال العبد: ويلوحُ لي في هذا الحصرِ والتقسيم وجهٌ آخرُ مناسبٌ لأفضلية هذا القول، وحمل (البضع) على الوضع[1] إجماعًا، وذلك أنّا قد قرّرنا أنَّ حقيقةَ الإيمان باطنًا أمرٌ وحدانيٌّ غيرُ قابلٍ للتجزئة والقسمة والتشعُّبِ، وإنَّما يَنقسمُ من حيثُ ظاهره وصفاته ونعوته الظاهرة، وذلك هو الإسلام، وهو المعدّى باللام كما بيّنا.

ولما رأيتُ بعضَ الأكابر من أهل العلم والكشف أنّه قد اعتبرَ الحسابَ الجُمَّليَّ في استخراج الأحكام من ألفاظ الكتاب والسنة، مثل ما استخرجَ الإمامُ أبو الحكم بنُ بَرَّجان[2] من لفظ ﴿الٓمٓ﴾ التي في سورة الروم باعتبار حساب الجُمّل، وحكمَ بفتح بيتِ المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة،

---

(١) في (ب): على الموضع.

(٢) هو عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي الإشبيلي أبو الحكم ابن برّجان ـ مخفف من أبي الرجال ـ الشيخ الإمام العارف القدوة، كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتصوف مع الزهد والاجتهاد في العبادة، له كتاب في تفسير القرآن، وأكثر كلامه فيه على طريقة أرباب الأحوال والمقامات، وقد استنبطوا من رموزاته أمورًا، فأخبروا بها قبل وقوعها. توفي سنة ٥٣٦هـ. سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٧٢.

فظهر كما حَكَم. راعيت ذلك[1]، وحسبتُ حروف (البضع) به، فكانت ثمان مئة واثنين وسبعين، ثم بالإسقاطات على قانون واضعي علم الحساب ذلك بقيت ثمانيةٌ، فرأيت أنَّ دلالةَ لفظِ (البضع) على عدد الثمانية أشدُّ وأقوى من دلالتها على غير ذلك من الأعداد، فحملناه ههنا على ذلك.

فانحصرتْ شُعبُ ظاهر الإيمان، وانقسمتْ على ثمانٍ وسبعين شعبة. ووجه ذلك أنَّ كلَّ ما يصدرُ من ظاهر نفس الإنسان من حيث قواها وآلاتها التي تصلحُ إضافةُ العمل إليها مبنيًّا على نيَّةٍ منتشئةٍ من أصل الإيمان، وماهيته التي بسراية تلك النية يقعُ ذلك الصادرُ في معرض المجازات شرعًا ينقسم ثلاثة أقسام:

أحدها: قوليٌّ محضٌ، مثل قول: لا إله إلا الله مثلاً.

وثانيها: عمليٌّ محض كالجهاد والزكاة.

وثالثها: متركّب منهما كالصلاة.

ثم إنّ العملي إما أن يكونَ باجتماع القوى والآلات، أو

---

(١) في (أ): وأعيت ذلك.

بتفرُّدِ كلِّ قوةٍ وآلة بما يخصُّه من العمل. فالقوليُّ وحده، والمتركِّبُ منه ومن العملي والمتركّب من العمليات ثلاثة أقسام. وبقي ما تفرَّدَ كلُّ قوةٍ وآلة بما يخصُّها من العمل، وذلك نوعان:

نوع غايته والمقصود منه العلم والإدراك لا غير: وذلك مُنحصرٌ في خمسة أصناف: هي الحواسُّ الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس.

والنوع الثاني: ما لا يكون غايتُهُ العلم والإدراك؛ بل غايتُهُ منحصرةً في أمرين:

أَحدهما: جلب المنفعة أو اللذّة وذلك، يكون بالقوة الشهوية.

والأمر الثاني: دفع المضرّة والألم، وذلك بالقوة الغضبية.

وآلاتُ هاتين القوتين ومظاهرُهما خمسةٌ أيضًا:

أحدُها: اليدُ التي يُبتنى عليها إعلاء كلمة الحقِّ بضرب أعناق مخالفيه[1].

---

(١) في (ب): التي ينتهي إليها إعلاءُ كلمة الحق بضرب الأعناق للمخالفين.

وثانيها: الرِّجْل التي بها يُسارع إلى الائتمار بأمر: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

وثالثها: الرأس الذي يُتقرّبُ به إلى الله تعالى بأمر: ﴿وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب ۩﴾ [العلق: ١٩].

ورابعها: البطنُ الذي به يقومُ بقاءُ الشخص بالمبادرة إلى أمر: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ [البقرة: ٦٠].

وخامسها: الفرجُ الذي يتعلّق به بقاءُ النوع بواسطةِ الانتداب بأمر «تناكحوا»[١].

وليس غيرُ ما أحصيناه قوّةً دالةً في الظاهر يُعملُ ويُتقرّبُ[٢] بها إلى الله تعالى أصلاً.

فهذه العشرة مع الثلاثة المذكورة آنفًا صارتْ ثلاثةَ عشرَ، وكلُّ واحدٍ منها ينقسمُ قسمين: أَحدُهما: فعلي كما وصفنا. والثاني: تركي كالصوم.

---

(١) ذكر الديلمي في الفردوس ٢/ ١٣٠ عن ابن عمر قال: تناكحوا تكثروا، فإني مباه بكم الأمم.

(٢) في (ب): بعمل يتقرب.

وجميعِ مقتضيات الحياء الآتي بيانها، فيصير ستًّا وعشرين، وكلُّ واحدٍ منها إمّا أن يكون صدورُهُ ابتغاءً[1] لمرضاة الله تعالى، وخالصًا لوجهه، غيرَ مَشوبٍ بعلّة نفسانية أصلاً. أو يكون مشوبًا بعلَّةٍ.

والعلّةُ النفسانية نوعان: رغبةٌ ورهبة باقتضاء قوَّتَي الشهوة والغضب وبحسبهما.

فهذه الثلاثة تُضرب في ستٍّ وعشرين، تصير ثمانيًا وسبعين[2].

فانحصرت شُعَبُ ظاهر الإيمان التي أَفضلُها قول (لا إله إلا الله) بسراية أصلِها الذي هو القصدُ[3] والنية المنتشئةُ من باطن الإيمان وأصله ومنبعه في ثمانٍ وسبعين شعبة. والله الموفق.

ويحتمل أن يُعدَّ باطن الإيمان الواحد[4] من جملة شعبه

---

(١) في (ب): وكل واحدة منها إما أن تكون صدورها ابتغاء.

(٢) في (ب): ثمانية وسبعين.

(٣) في (ب): قول لا إله إلا الله مع المقصد والنية.

(٤) في (ب): ويحتمل أن باطن الإيمان الوحداني.

الظاهرة تسميةً للأصل والذات باسم الفرع والصفة، فيصير تسعًا وسبعين، ويُحملُ (البضعُ) على أكثر ما يحتمله من العدد. كما أن الرَّاغبَ حملَهُ على أقلِّ العدد من وجه. والله أعلم.

وأما عروقُ هذه الشجرة الإيمانية المتأصّلة المستقرّةِ في فضاء القلب الضاربة إلى الروح الروحانية، فأصولُها وكلّياتها سبعةٌ: التوبة، والزهد، والتقوى، والاعتصام، والتوكل، والرضا، والمحبة. وهي كلّياتُ مراتب اليقين، وهو ههنا استقرارُ نور الإيمان، واستيلاءُ ظهوره على القلب.

وأَعلى هذه المراتب المحبة، وكلُّ واحدٍ منها له فروعٌ صغارٌ هنَّ كالأنواع بالنسبة إلى هذه الأجناس[1]، ليس هذا موضع تعدادها. وربّما نُفردُ كتابًا لها نعدُّها مَشروحًا إن قدَّرَ اللهُ ذلك ويسّره.

وأما الحياء: فحقيقته انحصارُ النفس أو الروح أو القلب، وانقباضها من ظهور القبيح وإظهاره، فيكون أصلُه من فروع

---

(١) في (ب): وكلُّ واحدة منها لها فروع صغار هي كالأنواع بالنية إلى هذه الأجناس.

التقوى؛ لكنَّ أثرَهُ وغايته[1] المتعلّقةَ بالظاهر تركُ القبائح. فكان من حيث غايته وأثرِهِ معدودًا في شُعب ظاهر الإيمان، وجميع التروك من لوازمه وتوابعه ومن حيث أَصله وحقيقته: مِنْ عروق أَصل الإيمان، وآثاره الباطنة، وصفاته.

وأمّا أَفضلية قول (لا إله إلا الله) فلمعانٍ.

منها: أنَّ هذا القولَ هو المظهرُ أولاً حكمَ[2] هذا النور في الظاهر، والموجب للزوم باقي الشعب، والشروط[3] في إلزام الحقِّ تعالى المكلّفين بما سوى هذا من الشعب.

ومنها: أنّه هو الكافي في استحقاق دخول الجنة؛ لقوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»[4].

ومنها: أنَّه المستلزمُ لحقنِ الدَّم، وصون المال،

---

(١) في (ب): لكن على أثره وغايته.

(٢) في (أ): إذ لا حكم هذا النور.

(٣) في (أ): والشطر في إلزام.

(٤) حديث رواه الترمذي (٢٦٣٨) وابن حبان في صحيحه ١/ ٣٦٣ (١٥١)، وأبو يعلى في صحيحه أيضًا ٧/ ٩ (٣٨٩٩)، والطبراني في الأوسط (٢٤٢٦، ٢٩٣٢) والكبير ٧/ ٤٨ و٢٠/ ٤٩، و٢٢/ ٣١٣.

لقوله ﷺ: «فإذا قالوها عَصموا منّي دماءَهم وأموالهم. . .»[1] الحديث، وليس لغيره من الشعب هذه الخصائص والآثار.

ومنها: أنَّ نسبة هذا القول إلى النفس والقلب ـ اللذين هما محلُّ غرسِ هذه الشجرة النورية الإيمانية ـ أَشدُّ وأقوى من نسبة غيره من الأغصان والشُّعب.

أمَّا قوةُ نسبته إلى النفس: فلأنَّ النفسَ إنَّما يكون حاملَها بخارٌ ضبابي منبعثٌ من باطن القلب الصنوبري المُودعِ في الجانب الأيسر من البدن الإنساني، وهي متّصفةٌ بصفة الحياة، متكيّفةٌ بأثرِ النفس الناطقة.

والروحُ الروحانية مباينةٌ بذلك التكيّفِ سائرَ الأرواح[2] الحيوانية المُضافة إلى باقي الحيوانات، فكانت صورةً جمعية، وهيئةً اجتماعية من بينها، فمهما غلبتْ عليها أحكامُ الحيوانية بحيث يكون أثرُ النفس الناطقة والروح الروحانية مَقهورًا مستورًا حكمه ووصفه، تكون النفسُ أَمَّارةً بالسوء. ومتى ما كان الأمرُ على عكس ذلك كانت مُطمئنةً راجعةً إلى ربِّها،

---

(١) حديث أخرجه النسائي ٧/ ٧٩ عن النعمان بن بشير.

(٢) في (ب): بذلك التكييف بسائر الأرواح.

وحالة المغالبة مرّةً مرة تكون لوّامة.

وأمّا حقيقةُ القلب فهي مستورةٌ كامنة مندرجةٌ فيها، مثل كمون النار في الحجر، والحديد، وبطون السواد في الزاج[1]، والعَفْص[2]، واندراج الحقيقة الاعتدالية في الأمزجة.

وهذه الهيئةُ الاجتماعيةُ المذكورة حاملةٌ بواسطة الحقيقة الاعتدالية القلبية[3] سرَّ وحدة العلم أو الوجود الواحداني ـ كيف شئت فقل ـ اللازم لهذه الهيئة[4] الاجتماعية بحكم المعيّة العامة المعنية بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] حمل الصورة اللفظية للمعنى من غير توهّم حلول.

وقول (لا إله إلا الله) أيضًا من حيث أنّه قولٌ حامل حكم الوحدة[5] المتحصّلة من بين النفي والإثبات. محلُّه إنّما هو

---

(١) الزاج: ملح. أنواعه: الزاج الأبيض، والأزرق، والأخضر. المعجم الوسيط.

(٢) العَفْص: شجرة البلوط أو ثمرها. المعجم الوسيط.

(٣) في (أ): الاعتدالية العلية.

(٤) في (أ): شئت فعل اللازم هذه الهيئة.

(٥) في (ب): قول حاكم الوحدة.

نَفَسٌ وبخار منتشئٌ[1] من باطن القلب الصنوبري، متكيّفٌ ومتشكّـلٌ مـن مـراتـب المخـارج حتـى ظهـر بصـورة الهيئة الاجتماعية من تلك التشكّلات والتكيّفات، فكان لفظًا وكلمةً حاملة معنى التوحيد، فكان بين النفس.

وهذا النفسُ المخصوص - أعني قول لا إله إلا الله - مناسبةٌ تامة، ولهذا كان المثابرُ على ذكر (لا إله إلا الله) أشدَّ تأثيرًا في إزالة حُجب العوائد والطبيعة عنها من غيره من الأعمال والعبادات والأذكار.

وأما قوة نسبة هذا القول - أعني ذكر لا إله إلا الله - إلى القلب[2]: فلأن هذا القولَ حاملٌ حكم التوحيد، وجامعٌ بين نفي الكون[3] وإثبات الحق. وكذلك القلب، هو مجلى وحدة الحق، ومظهر جمعيته، كما أخبرنا ﷺ حكاية عن الحقِّ تعـالـى وتقـدس بقـولـه: «مـا وسعنـي أَرضـي ولا سمـائـي،

(١) في (أ): وبخار منتشر.

(٢) في (ب): أعني ذكر الله إلى القلب.

(٣) جاء في هامش (أ): الكيان بمعنى الطبيعة، وفي عرف الحكماء والصوفية يطلق على الأصل، فيقال: الحقائق الكيانية: يعني الأصلية.

ووسعني قلبُ عبدي المؤمنِ التقيِّ النقي»[1].

وكذلك جامعٌ بين آثار الكون المنفي، وأنوار الحقِّ المثبت، فمن حيث حكمُ المحلّية لحكم التوحيد والوحدة الثابتة فيهما، وجمعيتُهما ونفيهما الكثرة وإثباتُهما الوحدة كانتِ المناسبةُ بينهما في غاية الشدّة والقوة، ولهذا كانتِ الملازمةُ والمداومة على هذا القول مؤثرةً في إزالة الحُجب النورانية والظلمانية عنه أبلغ تأثير، حتى يظهر[2] عينُهُ وأثر قابليته لظهور كلِّ صورةٍ نورانية ربانية وظلمانية كيانية فيه. ويتجلّى ذلك في نظر الذاكر الملازم.

توضيح: اعلم أنَّ القلبَ الحقيقي عبارةٌ عن صورةٍ اعتدالية جامعةٍ جميع مراتب صور الاعتدالات الربانية منها[3] والكونية المُنقسمة على الرُّوحانية والمثالية والحسّية الشاملة على صورِ

---

(١) ذكره الغزالي في الأحياء بلفظ: «قال الله: لم يسعني سمائي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن الليّنِ الوادع». قال العراقي في تخريجه: لم أر له أصلاً. قال ابن تيمية: هو مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسنادٌ معروف عن النبي ﷺ. انظر كشف الخفا ٢/ ٢٥٥ (٢٢٥٦).

(٢) في (ب): والظلمانية عند كماله حتى يظهر.

(٣) في (ب): الربانية منهما.

الاعتدال المعدني والنباتي والحيواني، فإنَّ كلَّ اسمٍ من الأسماء الإلهية الكلّية المتقابلة كالهادي والمُضل، وغير المتقابلة كالعالم والحقّ[1] له صورةٌ جمعية اعتدالية بالنسبة إلى ما اندرج فيه من الأسماء الجزائية موحِّدةٌ كثرتها النسبية وتفاصيلها كالحضرة[2] الرحمانية والإلهية الشاملتَيْنِ للكلِّ مثلاً.

وكذلك كلُّ حقيقةٍ من الحقائق الكونية الكلية المتبوعة له صورةٌ جمعيةٌ اعتدالية بالنسبة إلى التوابع والجزئيات المُندرجة فيه موحّدةٌ كثرتها الحقيقية وتفاصيلها الجزئية كالعالم والإنسان الجامعَيْن لجميعِ الحقائق مثلاً.

وكذلك الصور الروحانية والملكية لها صورةٌ جمعية اعتدالية موحِّدةٌ كثرتها وتفاصيلها كالروح التي تقوم هي بحكم جمعيَّتِها وإجمالها، والملائكة بحكم تفاصيلها صفًّا، وهي المعبر عنه على لسان الشريعة باللوّح المحفوظ. وفي بعض الألسنة هي النفس الكلية. وفي بعضها بالروح الأعظم.

---

(١) في (ب): والحي.

(٢) في (ب): موحدة كثرتها وتفاصيلها.

وكذلك صورة الطبيعة هي صورةٌ اعتدالية جمعية ينشأُ منها جميعُ الصور المثالية المرئية في المنامات والمرائي، وفي النشأة البرزخية الواقعة بين الدنيا والآخرة نعم، وأكثرُ الصور الأُخروية أيضًا مثل صور الأعمال والأقوال التي هي أعراضٌ غيرُ باقيةٍ في هذه النشأة الدنيوية، وهي تتصوّر في النشأة الأُخروية لما ورد في الخبر المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مررتُ ليلةَ أُسري بي على إبراهيمَ، فقال لي: يا محمد، أقرأ أمتَكَ منّي السلام، وأخبرهم أنَّ الجنة طيبةُ التربة، عذبةُ الماء، وإنّما هي قيعان، فليُكثروا غراسها[1]. قيل: وما غراسُها؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[2]. فهذا القول إنّما هو عرضٌ في هذه النشأة الدنيوية. وله صورةٌ مرئية ثابتة في الآخرة.

وكذلك العنصر الأعظم الذي هو أَصلُ السموات والأرض وما بينهما، وأَصلُ أركانها ومادّتها المُسمّى في بعض الألسنة بالجوهر الفرد، وفي بعضها بالهيولى أيضًا صورة إجمالية،

---

(١) في (ب): أغراسها.

(٢) حديث رواه الترمذي (٣٤٦٢) في الدعوات، باب (٩٥) عن ابن مسعود.

وهيئة جمعية اعتدالية مشتملةٌ على جميع الصور والأمزجة الحسّية.

وحقيقة القلب الإنساني صورةٌ جمعية اعتداليةٌ مشتملة على حكمِ جميع هذه الصور ومراتبها وحقائقها، فإنها صورة البرزخية التي هي الخطُّ الفاصل والحدُّ الجامع بين قوس الوحدة وقوس الكثرة.

أو قُلْ: بين قوس الوجوب وبين قوس الإمكان.

أو قُلْ: بين قوسِ الوجود وبين قوس العلم المتعلّق بالمعلومات الممكنة، نعم، ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] من ذلك كلّه بين الأحدية المسقطة لجميع الاعتبارات المُندرجة في الوحدة، وبين الواحدية المثبتة لها.

والاعتدال الإنساني محلُّها، وميزانُ تنزّلها وهي - أعني الحقيقة القلبية الإنسانية بوصف شمولها المذكور آنفًا - ساريةٌ في كلٍّ شخصٍ إنساني في ضمن صورةٍ إنسانية كامنةٍ باطنة مُندرجةٍ فيه كمون الوحدة في جميع[1] الأعداد المتكثّرة، لكنها بوصف شمولها محتجبة[2] بخاصياتٍ ملكية وفلكية، وعنصرية

---

(١) في (أ): تكون الوحدة لجميع.

(٢) في (ب): منحجبة.

جمادية ونباتية وحيوانية، تلبس الوجود المضاف[١] إلى هذا الشخص الإنساني عند تنزُّلِهِ ومروره على هذه المراتب المذكورة، فغلبت تلك الأحكام على هذه الحقيقة القلبية، وحجبتها عمّا كانت عليه من وصف الاشتمال، وصرفتها عن سواء سبيل الظهور بصورة الاعتدال، وخصوصًا أحكام مرتبة الحسِّ والطبيعة الغالب عليها حكم الكثرة والانحراف؛ بل استُهلكتْ - بالنسبة إلى بعض الأشخاص - آثارُ هذه الحقيقة القلبية في أحكامِ هذه الغلبات، وغلبات هذه الأحكام كاستهلاكِ الإنسانية في صور الممسوخين[٢] من بني إسرائيل إلى صورة القردة، والخنازير.

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم...﴾ إلى تمام الآية[٣] [البقرة: ٧٤] إشارةٌ إلى مراتب تلك الأحكام من الرسوخ، وشدة الحجابية وضعفها ورقّتها وزوالها، فـ: ﴿أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ مشيرٌ

---

(١) في (أ): الوجود المفاض المضاف.

(٢) في (ب): بعض الأشخاص آثار الإنسانية في صور الممسوخين.

(٣) هي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

إلى رسوخها مع انتفاء تلك القابلية عنها. و﴿كَٱلۡحِجَارَةِ﴾ إلى قوة الحجابية مع بقاء حكم القابلية فيها، وباقي الآيةِ تُشير إلى مراتب ظهور أثر القابلية وتأثير السلوك فيه بالذكر، والتفريغ، والتوجّه، وضعف الأحكام ودقّتها، وإزالتها، وظهور وصف اعتدال القلب وقابليته واشتماله، فمهما أدركتْ سابقةُ العناية المعبّر عنها بقوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢].

شخصًا إنسانيًا، وساعده استعدادُه حتى كان في إزالة ظلمة الحُجب المذكورة أولاً على نورٍ[١] من ربِّه بوصول هذا النور الإيماني إلى قلبه الكامن في نفسه ولُبِّهِ، فضرب عرقه الأصلي الكلي الذي هو الحبُّ، وهو صورةُ المحبّة والإرادة الإلهية المعبّر عنها بـ: «أحببت أن أُعرف»[٢] من قلبه متعدِّيًا إلى روحه

---

(١) في (أ): ظلمة الحجب أزلاً على نور.

(٢) قال العجلوني في كشف الخفا ٢/ ١٧٣ (٢٠١٦) تحت قوله: «كنت كنزًا لا أعرف، فأحببت أن أُعرف، فخلقتُ خلقًا، فعرَّفتهم بي، فعرفوني»: وفي لفظٍ: «فتعرَّفت إليهم، فبي عرفوني» قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي ﷺ، ولا يُعرف له سند صحيح ولا ضعيف. وتبعه الزركشي، وابن حجر، والسيوطي، وغيرهم. =

الروحانية المتّصفة بصفة الوحدة والنزاهة التي هي باطنُ نفسِهِ، فظهر أثرها في عالم الشهادة بصورة (لا إله إلا الله) بحكم مناسبة الجمعية، ونفي الكثرة، وإثبات الوحدة، واستتبع باقي الشُّعب التي هي: الصلاة، والصوم، والزكاة، والجهاد، والحج... ونحو ذلك بطريق الإلزام والتكليف بسبب قوة الحجابية[1] المختصة بمرتبة الإسلام، لا بطريق الاستحلاء[2] والذوق المختصّ بمرتبة الإيمان والإحسان.

ثم انبعث بحكم السابقة المذكورة أَثرُ تلك المحبّة من باطنه، فظهر بصورة الإرادة والميل إلى من تكاملَ فيه ظهورُ حكم أصله الذي هو المحبةُ الإلهية، وصورةُ ثمرتها التي هي كمال معرفة الطريق والمقصد. وذلك هو المرادُ، إنّما هو الشيخُ المرشد، فسلَّمَ نفسَهُ، وفوَّضَ أمرَه، وأدرجَ جميعَ مقاصده ومراداته فيما يُريده الشيخ له، فأمره هذا الشيخُ

= والمشهور على الألسنة: «كنت كنزًا مخفيًا، فأحببتُ أن أُعرف، فخلقتُ خلقًا فبي عرفوني».

وهو واقع كثيرًا في كلام الصوفية، واعتمدوه، وبنوا عليه أصولاً لهم.

(١) في (ب): بطريق الإكرام والتكليف سبب الحجابية.

(٢) في (ب): بطريق الاستجلاء.

بملازمة هذا الذِّكر المذكور (لا إله إلا الله) ولقّنه ذلك؛ ليكونَ ذكرُهُ على وصف ذكر الشيخ مُنوَّرًا خاليًا من ظُلمة الهوى والطبع، فيكون أَثرُهُ في التنوير والتخلية وتفريغ المحلّ[1]، وإزالة الحُجب أَقوى وأشدَّ.

وكلّما ثابرَ على ذكر (لا إله إلا الله)[2] بحضورٍ وجمعية همٍّ، ونفي خاطرٍ ـ حتى خاطر حقٍّ يتخيَّلُهُ في خياله وذهنه، فإنّ نفيه مهمٌّ أيضًا، وبتوجّه ساذجٍ عن العقائد المقيدة؛ بل يكون على عقيدة الشيخ، وعلى ما يعلمُ الحقّ نفسه في نفسه ـ ازداد هذا النورُ الإيماني قوةً، وظهورًا لانضياف نورِ الذكر، وقوّةِ نوريَّتِهِ بالتلقين المذكور إليه[3]، فاستحكمَ وتأيَّد وتقوّى ذلك العرق الأصلي الذي هو المحبة، وسرى أثرُها في عروق الأخلاق والأوصاف فجمَّلها، وفي الهمم والأقوال والأفعال فعدَّلها، وأيّد وقوّى العروق الأُخر الكلية، فتعيّنت وتأبّدت[4] وتقوّت:

---

(١) في (أ): وتفريق المحل.

(٢) في (ب): على ذكر الله.

(٣) في (ب): وظهور نور الذكر، وقوة نوريته بالتلقين المذكور إليه.

(٤) في (ب) وأيد قوى العروق الأخر بالكلية فتعينت وتأيدت.

فبرجوع نفس السالك أو روحه وسرِّه من طلب الحظوظ العاجلة أولاً والآجلة ثانيًا، ومن كلِّ ما سوى ربِّه ومذكوره آخرًا ظهر عرق التوبة.

ثم بالتركِ والإعراض عمّا خرج من ذاته من الأعراض والأغراض الظاهرة أولاً، والباطنة ثانيًا، وبالعفّة والخلوِّ عن كلِّ ما هو سوى آخرًا تعيّن عرقُ الزهد.

ثم بالاحتراز عن أحكام الانحرافات كلِّها قولاً وعملاً، وحالاً ظاهرًا وباطنًا، خلقًا وحقًّا تبيّن عرقُ التقوى.

ثم بالتعلّق والتوثّقِ في ذلك كلِّه بحبل الله أولاً، وبحول الله ثانيًا، وبالله وحده آخرًا تمَّ ظهور[1] عرق الاعتصام.

ثم برؤية وكالةٍ مذكورة في جميع ما لا بدَّ له منه[2] أولاً. وبرؤية كفالته بجميع مآربه ومطالبه التي فيها خلاصُهُ دينًا ودنيا وذوقًا وحالاً، لا سماعًا واعتقادًا ثانيًا. وبالاعتماد على هذه الوكالة والكفالة يتجرّدُ فعلُ الوكيل والكفيل في جميع الأمور

---

(١) في (ب): وحده آخرًا قام ظهور عرق.

(٢) في (أ): ما لا يد له منه أولاً.

والأسباب آخرًا تأيّد عرق التوكل.

ثم بمطابقة إرادتِهِ لكلٍّ ما يقعُ في الوجود بحكمٍ مذكورةٍ، أو على مقتضى رضا مُراده تقوَّى عرق رضاه، وبحسب ظهور أحكام هذه العروق وقوّتها بمددِ ماء الصدق[1] واليقين يظهرُ في الشُّعب لطافةٌ ونضارة وحسنٌ وحلاوة.

فالنشاطةُ في الأعمال[2]، واللِّين في الأعضاء لها من آثار تلك اللطافة والحسنِ والنضارة.

ثم يؤول هذا الأمر إلى أن يظهرَ في أثناء الملازمة على هذا الذكر أشعةٌ وأنوار معنويةٌ وحسّية لائحةٌ كالسراج، ثم كالشمع، ثم كالكوكب، ثم كالقمر، ثم كالشمس بحيث يتنوّرُ بيتُ خلوته ظاهرًا محسوسًا، وما هي فيما أراها إلاَّ آثارُ مصاداماتٍ متحصّلةٌ من نوري إيمانٍ وذكرٍ بسبب قوة التوجّه، وشدَّةِ الطلب، والشوق[3]، مثل مصادمة حاصلةٍ بين الحجرِ والحديد بقوّةٍ خارجة.

---

(١) في (ب): وقوتها عدد مائه الصدق.

(٢) في (أ): فالنشاط في الأعمال.

(٣) في (ب): والشرف.

ولمّا استحكمتِ العروق، وتأيّدت رقّتِ الحجبُ المذكورة التي هي أحكامُ تلك الغلبات، وغلبات تلك الأحكام، فظهر أحكامُ كلِّ مرتبةٍ كانت مغلوبةً من قبلُ تحت أحكام المرتبة الأخرى التي كانت لها الحكم والسُّلطنة والغلبة، وتميّزتْ عنها في ذات هذا الذاكر السائر:

فمنها: ما نُسبتْ إليه الفاعلية، وهي أحكام الوحدة الرّبانية، وما كانت نسبتُها إليها أقوى، وهي الروح الروحانية.

ومنها: ما يُضاف إليه الانفعالُ، وهي الأَحكامُ الكونية، وما كانت نسبته إليه أشدّ، وهي النفس.

فسرى أثرُ المحبَّةِ الغالبة حينئذ على الذّاكر[1] المنبعثة من باطنه في الروح والنفس وحرّكهما، وأمالَ كلَّ واحدٍ إلى الآخر طلبًا للكمال المُندرجِ في صاحبه، فحنَّتِ الرُّوحُ الروحانية، ومالتْ بكلِّ ما اندرج فيه من أحكامِ الفعل إلى النفس ميلان الذَّكرِ إلى الأنثى، وحنينِ الزوج البارِّ إلى الزوجة البارّة، وحنَّتِ النفسُ ومالتْ بحكم تحقُّقها بصفة الاطمئنان مع

---

(١) في (ب): أثر المحبة الغالبة حاله على الذاكر.

ما تشتمل عليه من الأحكام الكونية الانفعالية إلى الروح الروحانية بحُكم سريان المذكور حنين الزوج الموافقةِ إلى الزَّوجِ الموافق، فاجتمعا وامتزجا بكلِّ ما انضاف إلى كلِّ واحدٍ منهما من الأحكام والآثار الوحدانية الاعتدالية اجتماعًا وامتزاجًا ثانيًا بطُرُزٍ أُخر[1].

فظهرت الحقيقة القلبية المذكورة، وخرج من مشيمة النفس بصورة ولدٍ رشيدٍ بارٍّ بوالديه، فصار هذا القلبُ مرآةً ومجلًى للتجلّي الوحدانيِّ المتعيّن من حضرة الاسم الظاهر، فشمل حكمُه جميعَ قواه الظاهرة[2] سمعًا وبصرًا، ولسانًا ويدًا ورجلاً كما ورد في الخبرِ الصحيح[3] المشهورِ على الصريح بيان ذلك.

وهذا هو السير **والسفر الأول المحبي** من حيث الظاهر، والنفس وتكميلها للتحقُّق بالاسم الظاهر، وكلّيات أسمائه الموهمة للتشبيه كالسمع والبصر ونحوهما، وكرؤية الوحدة

---

(١) في (ب): بطور آخر.

(٢) في (ب): فشمل حكم جميع قوله الظاهرة.

(٣) انظر الحديث المتقدّم صفحة (٤٩).

في عين الكثرة، ثم إذا أَلقى عصا سيره في هذه السفر بالتحقّق بجميع كلّيات ما يتضّمنه الاسم الظاهر، حينئذ شرعَ في السير.

والسفر الثاني: من حيث الباطن والروح وتكميلها للتحقّق بالاسم الباطن، الذي يجمعُ الأسماء المنبئة عن التنزيه كالسلام، والقدوس، والعزيز، ونحو ذلك، وكرؤية الكثرة في عين الوحدة، وذلك إنّما يكون بفتقِ الروح[1]، وإخراج أحكام الكثرة الكامنة في باطنها على عكس القضية الأولى الواقعة في السير والسفر الأول. فإنّ باطنَ كثرة النفس وقواها الظاهرة ومظاهرها إنّما هو وحدةُ ظاهرِ الوجود[2]، وباطنَ وحدة الروح، إنّما هو كثرةُ الشؤون المختصّة بصور الحقائق الكونية الواقعة في العلم الأزلي. فاعلم ذلك.

وبعد فتق الروح يتولّدُ ويخرجُ من مشيمتها ولدُ قلبٍ قبل التجلّي الباطني المذكور، وبعد التحقّق بكلّيات هذا الاسم الباطن ينتهي سيرُه وسفره الثاني المحبوبي.

وربّما يتّفقُ بالنسبة إلى بعض السائرين أن يكونَ هذا السيرُ

---

(١) في (ب): بفتح الروح.

(٢) جاء في هامش (أ): وفي نسخة: ظاهر الوجوب.

الثاني المحبوبي مقدّمًا على السير الأول المحبّي، لتقدّم جِذبته وبقائه على سلوكه وفنائه، وعلى النمط المذكور أولاً يتقدّمُ السُّلوكُ على الجذبة، والفناءُ على البقاء، ثم بمساعدة الاستعداد بعد ذلك يشمّرُ للسير.

والسفر الثالث: لأجل التحقّق بالتجلّي الذاتي الجامعِ بين الظاهر والباطن، والأول والآخر، الحاصل المتعيّن من ظاهر مرتبة الألوهة[1]، الجامع بين الأسماء الظاهرية والباطنية، وذلك ببذل الجدِّ والجهد، وإزالة قيد التقيّد بأَحد حكمي الظاهر والباطن، ونفي تمانع آثارهما، حتى يتولَّدَ من بين أحكامهما قلبٌ متبحّرٌ، لا يتقيَّدُ ولا يُقيد؛ بل يجمع بين طرفي الظاهر والباطن، وذلك هو المعبّرُ عنه بمقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٩] وجمع الجمع، ويتجلّى فيه[2] التجلّي الجمعي الكمالي، وهذا هو مُنتهى أسفار جميع الأنبياء والرسل والمقرّبين من الأوّلين والآخرين.

وأما السفر الرابع: إلى مقام أو ﴿أَدْنَىٰ﴾ ورتبة ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ

---

(١) في (ب): والأول والآخر الظاهر والمتعين على ظاهر مرتبة الأولوهة.

(٢) في (ب): ويتجلّى منه.

ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] ومرتبة أحدية الجمع المتحقق بالتجلي الرباني الأكملي المتعين من باطن رتبة الألوهة[١]، فذلك مختصٌّ بسيدنا ومولانا خاتم النبيين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

ثم اعلم أنَّه ربَّما لم يتحقق بالنسبة إلى بعضِ السالكين؛ بل أكثرهم إزالةُ الأحكام المذكورة على نحو ما ينبغي لنقصٍ في قابليتهم، وعوزٍ في استعدادهم، وتأسيس سلوكهم على قاعدة فاسدةٍ بلا إرشاد مرشدٍ عالمٍ صحيح الإرشاد، فلم يتميَّزْ فيهم أحكامُ الروح عن أحكام النفس.

لكن قد تضعفُ أحكامُ النفس، وتقوى أحكام الروح، وتغلبُ بسبب مزاولة الرياضات والمجاهدات والمكابدات، فتشرقُ الروح أنوارَ روحانيتهم، وترد عليهم الخواطر الملكية الصافية، ولا تحجبهم أحكامُ الأجسام وكثافتها، فلم ينفذ فيهم خواصُّها وآثارها، فيخبرون عن الكوائن والمغيَّبات، ويسمعون وينظرون من وراء أستار الجُدران وعلى بعد المسافات، ويفعلون بالهمم، وتُستجاب دعوتهم، ويمشون

---

(١) في (ب): مرتبة الألوهية.

في الهواء والماء، ولم يتحرّقوا بالنار لدخولهم باب الملكوت الأدنى، فتغلب روحانيتهم، ومع ذلك كلّه لم يصيروا من أرباب القلوب وأصحاب التجلّيات؛ بل لم يشمّوا رائحةَ القلب أصلاً، ولا ولجوا بابًا من أبواب الملكوت الأعلى الذي هو عالمُ الجبروت، وحضرة الأسماء والصفات الإلهية، ولا ابتلّوا بنغبةٍ[1] من أبحر الولاية، ولا يُفرّقُ بينهم وبين الرّهابين في ظهور جميع ما ذكرنا من الآثار والخوارق[2] منهم إلاّ قول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأداء حقوق الشرعية المحمدية، والقيام بجميع أحكامها، والدخول لذلك في زمرة الأبرار والمؤمنين الصالحين لدخول الجنة، وحصول نعيمها ودرجاتها، والفوز باللقاء المقيّدِ من ربّهم، فافهم؛ فقد فُتح لك بابٌ من أبواب المعرفة والتمييز.

وأما قوله: «وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[3] بلسان ما ذكرنا من المقام، فإماطة الأذى هي إزالة أحكام القَلَبات، وغَلَبات الأحكام المذكورة آنفًا عن طريق القلب، لكن لا على

(١) النغبة: القليل من الماء. وفي (ب): ينقص.

(٢) جاء في هامش (أ): مطلب مهم جدًا.

(٣) تقدم الحديث وتخريجه صفحة (٣٥).

النحو المذكور، فإنَّ بالمثابرة على ذكر (لا إله إلا الله) تزولُ حجابيةُ تلك الأحكام والغلبات في أدنى زمانٍ، فيسارع فيه إلى غيره من الخيرات، فربّما ينفتحُ بذلك الذكر في أربعينية[1] أو أقلَّ أو أكثر يسيرًا.

وأمّا إذا تصدّى السالكُ لإزالتها بنحوٍ آخر غيرِ الذكر المذكور من الصلاة ومثلها، وبتبديل الأخلاق والأوصاف وتعديلها ربّما يطولُ عليه الطريق، ويحتاج إلى مُجاهداتٍ كثيرةٍ، وأعمالٍ شاقة، وتوجّهٍ خاصٍّ لإزالة كلِّ خُلُقٍ وصفةٍ، وربّما لم يفِ أحقابًا من العمر لتحقيق ذلك.

وأمّا في ضمن الاشتغال بالذكر الدائم بصدقِ قصدٍ، وتوحّدِ عزمٍ، وإخلاص نيّةٍ، ونفي كلّ هاجسٍ وخاطر، فيحصل المقصودُ سريعًا لمناسبةٍ قوية ثابتةٍ بين القلب والذكر المذكور، وكونه مُتشعّبًا من عرق المحبة، بل مظهرًا وأثرًا له كما بيّنا وهو ـ أعني عرق المحبة ـ أصلٌ لجميع العروق الأُخر الكلّية منها والجزئية، وكلُّ الصَّيدِ في جوفِ الفرَا[2].

---

(١) أي في خلوة مدتها أربعون يومًا.

(٢) جاء في مجمع الأمثال ٢/ ١٣٦ (٣٠١٠): قال ابن السكّيت: الفرا: =

ألا يرى أنّه إذا ظهر أثرُهُ تحصلُ الجذبةُ التي توازي عملَ الثقلَيْـنِ كما ورد في خبر: «فإذا أحببتُـهُ كنتُ له سمعًا وبصرًا. . . »[1] إلى آخره

فلهذا المعنى كان قولُ (لا إله إلا الله) والملازمةُ عليه أَفضلَ وأَعلى من إماطة الأذى عن الطريق بطريقٍ آخر، وهذا الذي قررنا معنى إماطة الأذى عن الطريق، وباطنه على وفق ما سبق من التقرير بمقتضى مقام الإحسان.

وأمّا صورته وبعض تفصيل إزالة الحُجُب بحكم مقام الإيمان والإسلام فالأذى نوعان:

= الحمار الوحشي، وجمعه فراء. وأصل المثل أن ثلاثة نفرٍ خرجوا مُتصيِّدين، فاصطاد أحدهم أرنبًا، والآخر ظبيًا، والثالث حمارًا. فاستبشر صاحب الأرنب، وصاحب الظبي بما نالا، وتطاولا عليه، فقال الثالث: كلُّ الصَّيد في جوف الفرا. أي هذا الذي رزقتُ وظفرتُ به يشتمل على ما عندكما. وذلك أنه ليس ممَّا يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي.

جاء في هامش (أ): وفي المثل: كلُّ الصَّيد في جوف الفرا ـ بغيرِ همزٍ ـ لأنَّه مثلٌ، والأمثال موضوعة على الوقف. أي كلُّه دونه. والفَرَأُ كجبل وسحاب: حمار الوحش. من القاموس.

(١) انظر الحديث المتقدّم صفحة (٤٩).

أحدهما: الشيءُ المؤذي ظاهرًا وطبعًا وفي الدنيا.

والثاني: باطنًا وشرعًا وفي العُقبى.

والطريقُ هو محجّةُ الأقدام، إمّا صورةً ومحلُّه الأرض، وإمّا معنًى ومحلُّه الدين أو العقل.

ولكلٍّ واحدٍ من هذين الأمرين ـ أي الأذى والطريق ـ صورٌ ووجوه جمَّةٌ تكون إماطتها بحسبها، فمن وجوه:

الأذىٰ المعنويِ في الطريق المعنوي: ظلمٌ وتضييقٌ واقعٌ على الخلق في طلب المعايش بالمعاملات، وذلك بسبب ضريبةٍ ومطالبةٍ غيرِ متوجّهة ولا مشروعةٍ فيهم.

فيكون المعنى أنَّ التفرّغَ بذكر (لا إله إلا الله) أفضلُ وأعلى من مخالطة الخلق بنيّةِ دفعِ ظُلمٍ، وتفريجِ ضائقةٍ عنهم، فإنَّ الأوّل لطلبِ مقامِ المقرّبين. والثاني لطلبِ مقام الأبرار الصالحين، وبين المقامين بونٌ بيّنٌ.

ومن الأذى المعنوي أيضًا بِدَعٌ وأهواءٌ وآراءٌ رديَّةٌ غيرُ مستقيمةٍ، معترضةٌ في الطريق المعنوي الديني، وذلك نوعان:

أحدهما: اعتقادٌ منحرفٌ مائل إلى طرف إفراطٍ وغلوٍّ، أو

إلى جانب تفريطٍ وتقصيرٍ، وإماطة هذا النوع للعلماء المحقّقين ببيانٍ وافٍ شافٍ، ولغيرهم بتقليدِ عالمٍ ربّانيٍّ متّقٍ مُحقٍّ محقق.

والنوع الثاني: قولٌ وعملٌ مخالفٌ لظاهر الشرع والسُّنة، وإماطةُ هذا النوع من الأذى مخالفةُ الهوى، وشهوة النفس، ومُجانبة الطبع، والرجوع إلى متابعةِ ظاهرِ الشَّرعِ والسُّنة والجماعة، ثم برعاية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومع أن ذلك من المهمات اللازمة، لكنَّ قول (لا إله إلا الله) أَهمُّ منه وأفضلُ، وأولى، وأعلى، وأوّلُ، لابتناء جميع ما ذكرنا عليه واعتزاء[1] لزومها وصحتها وقبولها إليه.

وأمّا الأذى الصُّوري فنوعان:

نوعٌ متَّصلٌ بظاهر المؤمن[2]. ونوعٌ منفصلٌ خارج عنه.

أمّا المُتّصل: فهو كالمكروهات والمُستقبحات الطبيعية

---

(١) جاء في هامش (أ): يقال عزاه إلى أبيه نسبه إليه ـ من باب عدا ورمى ـ فاعتزى وتعزّى. أي انتمى وانتسب. وعراه بالراء المهملة واعترى به: أي غشيه. وقيل: إما بالراء المهملة، أو بالزاي المعجمة بمعنى العروض والانتساب، وكلاهما جائز. وفي (ب): واعتراء. بالمهملة.

(٢) في (أ): ظاهر المؤمن.

القائمة بشخصِهِ، المؤذيات لحسِّ غيره وحسِّ نفسه[1]، كتغيُّر أسنانِ الإنسان الذي إماطتُهُ عن طريق الذكر والمكالمة[2] والتلاوة شرعتْ بالسِّواك، ونحو طول الأظفار الذي سُنَّت إماطتُ أذاه بالقلْم، ومثل طول شاربه الذي أماطتُ أذاه بالقصّ، وكطول شعر إبطه الموجب لأذى الصنان، وإماطته شُرعت بالنتف، وأمثال ذلك[3].

وأما النوع المنفصل عنه: فكمثل شوكٍ، أو حجرٍ، أو قذرٍ، أو عقربٍ، أو حيّةٍ تعترض في محجّة الخلق وتؤذيهم، وإماطةُ هذا النوع إزالتُهُ عنها بأيِّ وجهٍ أمكن.

وجميعُ ما فصلّناه ما هي إلا صورُ انحرافاتٍ متحصّلةٍ من

---

(١) في (ب): المؤذيات لحسن غيره وحسن نفسه.

(٢) في (ب): طريق الذكر والملائكة.

(٣) هذا من حديث المصطفى ﷺ الذي رواه مسلم (٢٦١) في الطهارة، باب خصال الفطرة، وأبو داود (٥٣) والترمذي (٢٧٥٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البرَاجِم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء». قال مصعب بن شيبة: ونسيت العاشرة إلاّ أن تكون «المضمضة».

أحكام تلك الغلبات، مؤذية ظاهرًا وباطنًا. وقولنا: (الإماطة إزالة أحكام الغلبات وغلبات الأحكام) يشتملُ الكلَّ، ويجمع الجميع[1] ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]. انتهى.

* * *

[نهاية النسخة (ب)]

هذا آخر كتاب «تحرير البيان في تقرير شُعب الإيمان، ورُتب الإحسان»

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلّى اللهُ على سيِّدِنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلّم.

تمت الرسالة بحمدِ الله عن يدِ كاتبها الفقيرِ محمد ابن عربي المغربي الجزائرلي. غفر الله له ولوالديه ومشايخه وإخوانه آمين آمين.

* * *

(١) في (ب): تشتمل الكل، وتجمع الجميع.

الفهرس العام

فهرس الآيات الكريمة

* * *

فهرس الأحاديث الشريفة

* * *

فهرس الرجال

* * *

فهرس الأمم والأقوام

* * *

فهرس الأماكن

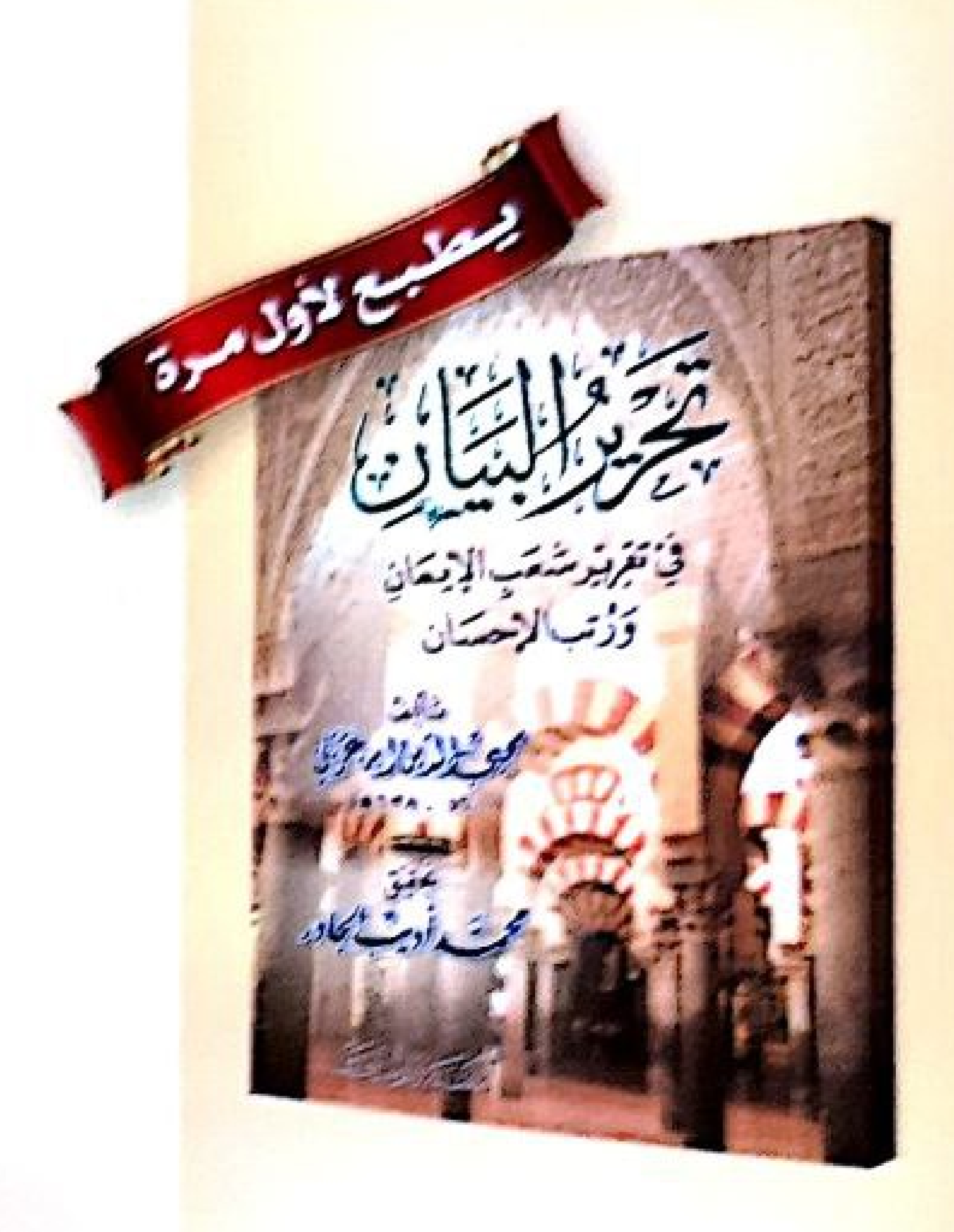
* * *

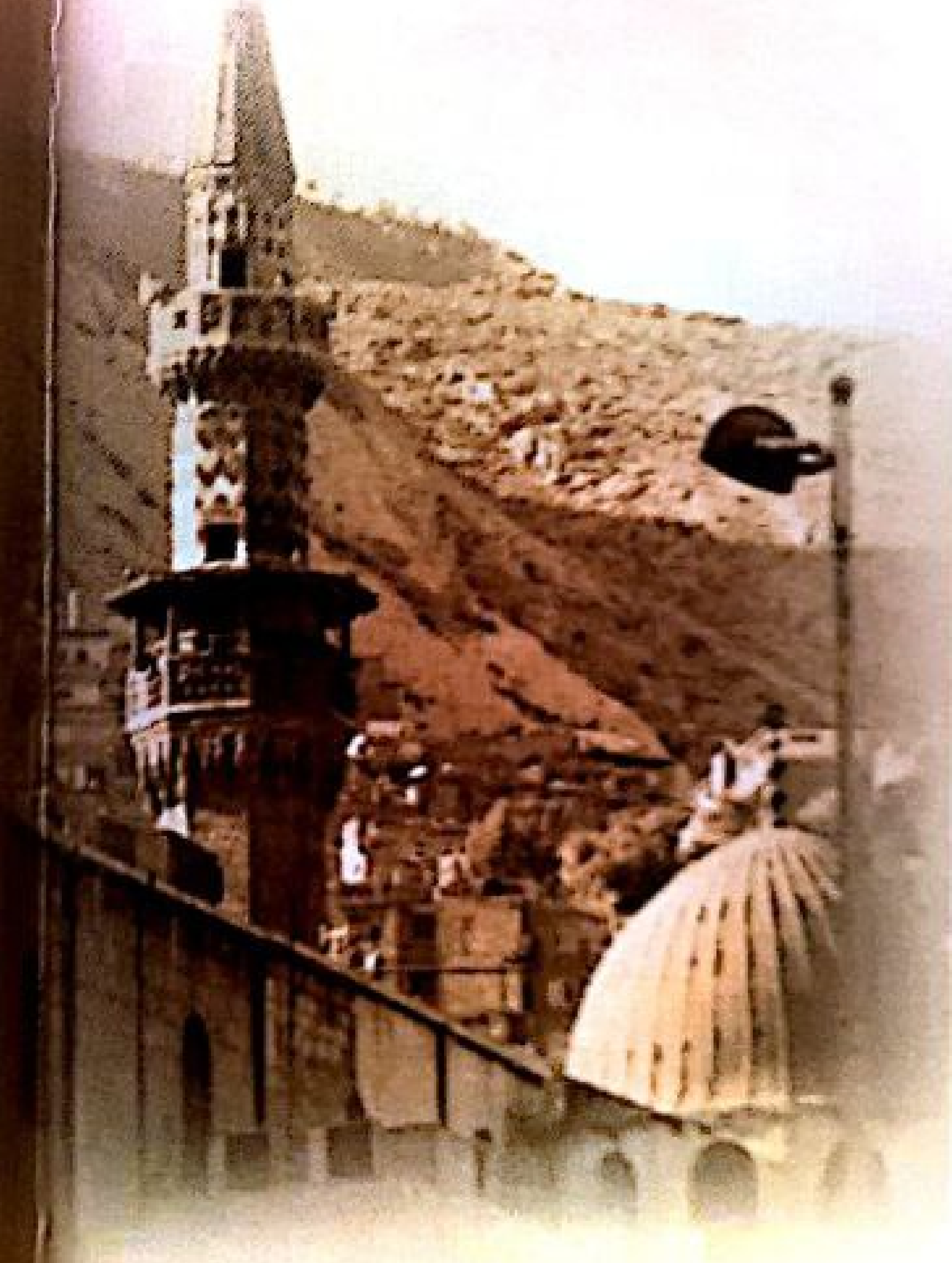
فهرس الكتب

* * *

فهرس الأمثال

* * *





مكتبة دار الدقاق